الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون - تيارت -
كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر تخصص فلسفة العلوم

الموسومة بـ:

الوضعية المنطقية نقد الميتافيزيقا
رودولف كارناب نموذجا

الأستاذ: حجاج خليل ..... مناقشا

الأستاذ: راتية الحاج ..... رئيسا

الأستاذة: بلوط صبرينة ..... مشرفا

إعداد الطالبتان:
- بوسجرة أحلام
- بوغدو دنيا

تحت إشراف الأستاذة:
- بلوط صبرينة

السنة الجامعية

2014م-2015م

مقدمة

إنَّ العمل الفلسفي غالبا ما يحيل في نهاية المطاف إلى تبني أو تعديل أو دحض و لعلَّ مسار الفلسفة لطالما تبنَّى هذا الطرح حيث أنَّ كل نظرية فلسفية إلاَّ و لها ما يقابلها أو يعارضها خاصة في فلسفة العلوم، هذه الأخيرة لم تحظ بالعناية الكافية في تاريخها إلاَّ خلال القرنين التاسع عشر و القرن العشرين حيث اعتبر "أوغست كونت" comte(1798-1857) و جون ستيوارت مل J.S.Mill(1806-1873) من الروَّاد الأوائل الذين ساهموا في تشكيل الفلسفة العلمية و قد تزامن ميلاد فلسفة العلوم مع التحولات الجذرية التي شهدها العلم المعاصر و نتيجة لشعور بعض الفلاسفة المتكّونين علميا بأهمية المعرفة العلمية و مدى تطورها فإنَّ مثل هؤلاء دعوا إلى ضرورة فصل العلم عن باقي المعارف الأخرى و أن تعنى الفلسفة المعاصرة إذا أرادت البقاء فقط بدراسة المعرفة العلمية و بين (1860)و(1910) انتقل بعض فلاسفة العلوم بالتساؤل حول أسس و مناهج العلم و حدود المعرفة العلمية مثل الفيزيائي "أرنست ماخ" E.Mach (1838-1916) و "دوهيم"Dohem .

حيث أدرك هؤلاء أنَّ نمو العلوم يكون بمجابهة النماذج الدوجماتية لنظريات المعرفة التقليدية التي شيَّدها الفلاسفة حيث أنَّ الفهم الصحيح لفلسفة العلوم في القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا يجب أن يراعى فيها التعارض القائم بين أنصار الاستقراء أمثال "ماخ" الذي اعتبره أساس النشاط العلمي و من جهة ثانية أعداء الاستقراء أمثال "كارل بوبر" K.Popper حين يرى أنَّ اكتشاف النظريات العلمية لا تفسَّر بالاستقراء فلا يمكن رد التصورات النظرية إل الوظيفة المنطقية و لا إلى الملاحظة التجريبية و يبقى هذا التقسيم ليس حاسما و لذلك يمكن إيجاد بعض المواقف التوفيقية مثل موقف "كارناب"R.carnap هذا الرسم لفلسفة العلوم الذي ميَّزه التعارض بين الموقفين يبدو صحيحا و هاما يؤشر لظهور إشكاليات جديدة ظهرت أواخر القرن العشرين و ليس مجرَّد إعادة طرح للمشاكل التقليدية لفلسفة العلوم تحت تأثير نظريات علمية تقودنا إلى الاعتراف بالاستقراء كمفتاح للنجاح.

من هذا المنطلق شهدت فلسفة العلوم تحولا في بداية القرن العشرين قدم من برلين حيث كانت تنشط جماعة "رايشنباخ" H.Reichenbach (1891-1953) تحت اسم جمعية الفلسفة التجريبية 1928 و في فيينا مجموعة "أرنست ماخ" التي كان ينشطها الفيزيائي "موريس شليك" التي عرفت بحلقة فيينا ، في المؤتمر الرابع للفلسفة المنعقد بأكسفورد تم توحيد الجماعتين و أصبحتا تعرف بالوضعية المنطقية أو الوضعي الجديدة ، حيث ذاع صيتها بعد ظهور الفيلسوف "كارناب" لتحرص هذه الجماعة على وضع الأسس لتصحيح الفهم و التحليل للمعرفة الإنسانية و احتلت المعرفة العلمية المقام الأوَّل و هدفها في ذلك تكوين علم موحد و تحرير العلم من أي عدوى ميتافيزيقية حيث اعتبرت هذه الأخيرة حلقة وصل هامة في تاريخ الفكر الفلسفي لأنَّ العلماءفي هذا الطرح انصب جهدهم عى العمل الجماعي عن طريق ربط و تنسيق الأعمال الخاصة للباحثين في شتى المجالات لتوحيد العلم لتعتمد الوضعية المنطقية على منهج يمكنها من استئصال المشاكل التقليدية للميتافيزيقا .

"كارناب" بدوره يدعوا إلى ضرورة استبعادها من العلم و على الفلسفة أن تنأى بنفسها عن مثل هذه القضايا و أن تعنى بالتحليل المنطقي للغة العلم .

كل هذه و تلك مؤشرات و لمحات تحيلنا إلى طرح إشكالية هامَّة تطرح نفسها :**ما هي المبررات التي قدَّمتها الوضعية المنطقية و وضَّحتها فلسفة "كارناب" لدحض الميتافيزيقا ؟**

لتنطوي تحت هذه الإشكالية الرئيسية إشكاليات ثانوية نجيب عنها في الفصل التحليلي ماهي الأسس المنطقية للطرح الكارنابي؟ و هل استطاعت الوضعية المنطقية أن تستبعد الفلسفة الأولى –الميتافيزيقا-؟

معتمدين في ذلك خطة بحث مكوَّنة من ثلاثة فصول و كل فصل يحتوي على مباحث تعلوها مقدمة الفصل الأوَّل موسوم بجينيالوجيا و كرونولوجيا المفاهيم وضم ثلاثة مباحث فالأول تعرضنا فيه إلى مفهومين أساسين في المذكرة و هما الوضعية المنطقية و الميتافيزيقا و هذا كإجراء منهجي ضروري يخدم و يساعد على فهم التوجه الفكري لهذه الدراسة و المبحث الثاني عنون بالمرجعيات الفكرية للوضعية المنطقية وهي التجريبية الإنجليزية "دافيد هيوم "و "جون لوك" و كذا الوضعية الجديدة ثم الوضعية المنطقية أما المبحث الثالث فكان ل"أوغست كونت" و أسس فلسفته الوضعية

الفصل الثاني موسوم ب الأسس المنطقية لوضعية "ردولف كارناب"ليضم هو الآخر ثلاثة مباحث ، الأوَّل كان عنوانه : الفضاء الوضعي و انعكاساته على حلقة فيينا "فجنشتين"و "راسل"

الثاني: مبادئ الوضعية المنطقية

الأخير : ردولف كارناب و استبعاده للميتافيزيقا.

أمَّا الفصل الثالث فكان دراسة ابستيمية للوضعية المنطقية مع "كارل بوبر"و "ماركيز" لينتهي البحث بخاتمة

متبعين المنهج التحليلي المقارن فكانت قراءتنا تحليلية مقارنة لكل من فلسفة "فجنشتين"و"راسل".

كان اختيارنا – الوضعية المنطقية – نقد الميتافيزيقا ردولف كارناب نموذجا عنوانا لبحثنا الذي نحاول من خلاله الاطلاع على فلسفة كارناب العلمية و رؤيته المنطقية كما يعود سبب اختيارنا موضوع بحثنا إلـــى ميلـــــنا الشخصي نحـو الدراسات الابستيمولوجية كدراسة فلسفية علمية معاصرة و أهمية هذا المجال المعرفي على المستويين الفلسفي و العلمي كموضوع يتطلب الدراسة و التعمق أما العوامل الموضوعية فنردها إلى قلة الدراسات الابستيمولوجية بصفة عامة و ندرة البحوث المتعلقة بالوضعية المنطقية و رائدها كارناب في نقده للميتافيزيقا خاصة .

رغم شهرة الرجل و ثراء إنتاجه الفكري إلاَّ أنَّه لم يلق الاهتمام الكافي من قبل الدارسين باستثناء "يمنى طريف الخولي "في كتابها –فلسفة القرن العشرين-و كذا "وداد الحاج حسن "-نهاية الوضعية المنطقية – فإنَّ الأعمال الأخرى اهتمت و اكتفت ببعض الشذرات من فلسفته.

لقد واجهتنا في ذلـــك صعوبات فـكرية تعلّقت بوسائل البحث العلمي النظري و قلة المصادر و المراجع المهتمة بهذا الموضوع هذا و إن تصادفنا مع مصدر واحد لكارناب و هو الأسس الفلسفية في الفيزياء كذلك استعمال اللغة الرمزية .

لكن هذا لا يعـــني أنـنا نتوقف عند هذا الحد متمنيـن مـــن وراء هذا العمل المزيد من التفوق و يكون فائدة للطلبة المقبلين على تخصص فلسفة العلوم .

الفصل الأول

الوضعية المنطقية (المفهوم و التاريخ)

المبحث الأول: مفهوم الوضعية المنطقية و الميتافيزيقا

المبحث الثاني: المرجعيات الفكرية للوضعية المنطقية

المبحث الثالث:"أوغست كونت" وأسس فلسفته الوضعية

المبحث الأول

مفهوم الوضعية المنطقية والميتافيزيقا

أولا- معنى الوضعية المنطقية:

أ- الوضعي Le positif :

إن الوضعي من الأشياء ما وضعه الله أو ما وضعه الخلق، حسب " ليبنيتز" إن حقائق الفعل قسمان قسم يسمى بالحقائق الأبدية و هي مطلقة و ضرورية، أي أن معارضتها تفضي إلى التناقض، و قسم يمكننا أن نسميه بالحقائق الوضعية لأنها قوانين أراد الله أن يهبها للطبيعة و نحن ندرك الحقائق بالتجربة و الوضعي مقابل للطبيعة فنقول القانون الوضعي فهو مقابل للقانون الطبيعي و الوضعي من الأشياء هو أيضا ما كان متحققا في عالم الحس و التجربة.

من زاوية المعرفة: الوضعي ما هو معطى أي ما يقدمه الاختبار على سبيل الأمر الواقع.

أما في المنطق: فالوضعي هو الموجب و الحد الموجب يقابله الحد السالب و الموجب من الحدود هو ما كان يفيد إثبات صفة الموصوف.

في الرياضيات: فالايجابي من القيم الذي يحدد الاتجاه الذي يقاس به مقدارا انطلاقا من أصل طبيعي أو اتفاقي و يرمز له بالعلامة (+) التي توصف به كمية ما[1].

في النصف الأول من القرن التاسع عشر ظهرت أراء الفيلسوف الاجتماعي الفرنسي "اوغست كونت" (1798-1857) التي أرد من خلالها أن ينبه العلماء إلى ذلك التطور الخطير الذي يحدث في مسار العلم حيث ينتقل التفكير من المرحلة اللاهوتية إلى المرحلة الميتافيزيقية لينتهي بالمرحلة الوضعية[2].

أوغست كونت لم يكن عالما تجريبيا وإنما كان فيلسوف عاش في عصر سادت فيه النزعة العلموية الوثوقية فاستمد منها فلسفته الوضعية التي حاول أن يبرهن فيها على أن المرحلة العلمية التي وصلها الفكر البشري في عصره هي أعلى المراحل و قمة التطور و هذه المراحل هي:

- المرحلة اللاهوتية:

يلجأ الفكر البشري إلى البحث عن طبائع الأشياء وأسبابها الفاعلة و الغائية ناشدا المعرفة المطلقة متصورا الظواهر على أنها نتاج فعل مباشر و متواصل تقوم به كائنات عليا فوق طبيعية، لقد بلغت هذه المرحلة أوجها عندما أحلت مكان الآلهة المتعددة إله واحد فالانتقال من عبادة الأصنام إلى تعدد الآلهة إلى عبادة إله واحد تحررت الطبيعة مما حيك حولها من الأساطير وأصبحت قابلة للدراسة العلمية و في هذا الإطار شهدت القرون الوسطى محاولات للتوفيق بين ثبات القوانين و فكرة الله غير أن المحاولات فاشلة و ما كان لها أن تفشل لأن الفكر الوضعي الذي عمل على تقدم الفكر اللاهوتي و هو في ذات الوقت خصم له فكان لابد أن يختفي الفكر اللاهوتي كلية و يحل محله الفكر الوضعي و لكن اختفاء الفكر اللاهوتي اختفاءا تاما لا يتم بشن معركة عليه بلى بظهور عجزه و عدم صلاحيته[3].

---

[1] صليبا جميل : المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د(ط)، 1979، ص ص577-578.

[2] الجابري محمد عابد:مدخل إلى فلسفة العلوم (العقلانية المعاصرة و تطور الفكر العلمي)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط(1)، 1976، ص103.

[3] المرجع نفسه ، ص 104.

- المرحلة الميتافيزيقية:

المجردة و هي في الحقيقة هي لاهوت مقنع بمعنى أن الكائنات ما فوق الطبيعية قد جرى استبدالها بوحدات مجردة و هاته المرحلة ليست منتجة بلى هي مرحلة تحليل و بالتالي فهي تشكل المرحلة الانتقالية[1].

- المرحلة الوضعية:

آخر مراحل التطور في نظر "اوغست كونت" فهي المرحلة التي اقتنع فيها الفكر البشري باستحالة الوصول إلى معارف مطلقة بضرورة التخلي عن الأسباب الخفية الكامنة وراء الظواهر و الانصراف إلى البحث عن القوانين بواسطة الملاحظة و الاستدلال و المقصود بالقوانين تلك العلاقات اللامتغيرة الضرورية التي تقوم بين الظواهر المتشابهة و الحوادث المتتابعة، إن تفسير الظواهر يصبح مقصورا إذن الكشف عن الرواية التي تربط بين الحوادث الجزئية و بعض الحوادث العامة بإرجاع بعضها إلى البعض الشيء الذي يجعل التفكير الوضعي يتجه هو الأخر من التعدد إلى الوحدة فهذه المرحلة هي قمة تطور الفكر البشري: إذن ما نوع المنهج المتبع فيها ؟ إنها تقوم أساسا على اعتبار الظواهر خاضعة للقوانين وان مهمة البحث العلمي هي العمل على الكشف عن هذه القوانين أي بيان شروط وجود الظواهر[2].

من خلال هذه المراحل يتضح لنا تأسيس لانسجام قائم على هذه الأخيرة بحكم إنكار وجود معرفة تتجاوز التجربة الحسية و لاسيما فيما يتعلق بما وراء المادة و أسباب وجودها.

لهذا اهتم "اوغست كونت" بالعلوم اهتماما بالغا و صنفها و رتبها حسب درجتها من التعميم و التجريد نزولا و مقدر تشابكها و تعقيدها صعودا[3].

لهذا نجده يقول:« لتقم طبقة جديدة من العلماء المكونين تكوينا ملائما و في ذات الوقت غير مستغرقين في الدراسات التخصصية في أي فرع من فروع الفلسفة الطبيعية»[4].

ب- المنطقية:

فالمنطق هو دراسة الفكر و طرق الاستدلال السليم ويعتبر أرسطو أول من كتب عن المنطق بوصفه علم قائم بذاته و سميت مجموعة بحوثه المنطقية بالأورغانون و هو أول من هذب المنطق و رتب مسائله[5].

أما النزعة المنطقية بزعامة "ليبنتز" الذي كان من أبرز التشابه بين المنطق و الرياضيات فلقد انتبه إلى أن الرياضيات كلها عمليات استنتاج تتم انطلاقا من مبادئ منطقية و بواسطة مبادئ منطقية[6] .

---

(1) الجابري مُحَّد عابد:مدخل إلى فلسفة العلوم ، المرجع السابق ،ص104.

(2) المرجع نفسه ، ص106.

(3) أمين أحمد: قصة الفلسفة الحديثة ، مطبعة التأليف و النشر، القاهرة،د(ط) ، 1978، ص 75.

(4) برول ليفي: فلسفة اوغست كونت، تر:محمود قاسم و السيد بدوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،د (ط)، د(س)، ص 132.

(5) يعقوبي محمود: دروس في المنطق الصوري، ط (1)، المؤسسة الوطنية للدراسات و النشر،2000، ص 20.

(6) الجابري مُحَّد عابد: مدخل إلى فلسفة العلوم، المرجع نفسه، ص104.

- معنى الوضعية المنطقية Logical positivisme:

نشأت في فيينا في السنوات العشر الأولى في القرن السابع عشر وأصبحت شعبية جدا بتأثير كبير حيث كانت الوضعية المنطقية تمثل شكلا أقصى للاختبار التي ترى أن تبرير النظريات لا يرتبط بالتحقق منها انطلاقا من وقائع تمدنا بها الملاحظة فحسب، بل يرتبط بكونها لا تحمل من معنى إلا إذا وجدت مصدرها في تلك الوقائع و يحمل نجاح النزعة الوضعية سمتين:

- **السمة الأولى:** ترتبط بظهور الفيزياء الكوانطية و نظرية النسبية ، إذا أن التقدم المذهل الذي عرفته الفيزياء في تلك الفترة وقع بصورة يصعب توفيقها مع النزعة الوضعية.

- **السمة الثانية :** أن "كارل بوبر، و غاستون بشلار" من خلال كتاباته المناهضة للنزعة الوضعية بكيفية مقنعة أخرج بوبر كتابه الأولى بفيينا و بشلار بفرنسا أما "آير" أدخل الوضعية المنطقية إلى انجلترا عن طريق كتابه " اللغة الحقيقية و المنطق"[1].

لهذا فان الاتجاهات الوضعية أقامت قطيعة بين ماهو ملاحظ و حسي تجريبي و فيما هو تأملي نظري خطا فاصلا بين قضايا ذات معنى و أخرى لا معنى لها و فعالية تأثير هذا الاتجاه الميكانيكي المتحرك ليشمل ميدان العلوم الاجتماعية و العلوم الإنسانية.

عالجت الوضعية المنطقية مشكلة **الاستقراء** الذي هو في مفهومه تتبع الجزئيات للحصول على حكم كلي بمعنى تتبع الجزئيات نوع معين لأجل أن نعرف الحكم الكلي الذي ينطبق عليها فنؤلف منه قاعدة عامة.

مثل: أن نستقرىء و نتتبع استعمال - الفاعل- في مختلف الجمل في اللغة العربية لنعرف حكمه الإعرابي فنرى أن الكلمة التي تقع فاعلا في مختلف الجمل التي استقرأناها تكون مرفوعة تنتهي إلى النتيجة التالية و هي أن الفاعل في لغة العرب - مرفوع-

فتؤلف من هذه النتيجة قاعدة عامة و هي كل فاعل مرفوع من أقسامه:

1- الاستقراء التام 2- الاستقراء الناقص.

1) التام: هو تتبع جميع جزئيات الكلي المطلوب معرفة حكمه مثال: إذا أردنا أن نعرف هل أن من بين الطلبة الذين في النجف الأشراف طلابا إفريقيين فإننا نستقرىء كل طالب موجود في النجف استقراءا كاملا حتى ننتهي إلى النتيجة.

هذا النوع من الاستقراء الكامل الشامل لجميع جزئيات الكلي و الانتهاء إلى النتيجة منه يسمى بالاستقراء التام.

2) الناقص: و هو تتبع بعض جزئيات الكلي المطلوب معرفة حكمه[2]

مثل: كما لو أرد العالم الكيميائي معرفة مدى تأثير الضغط على الغازات فإنه يجري التجربة على بعض الغازات و عندما يرى أنه كلما زاد الضغط على هاته الجزئيات موضوع التجربة قل حجمها و كلما نقص الضغط زاد

---

[1] شالمرز آلان : نظريات العلم، تر :الحسين سحبان و فؤاد الصفا، دار توبقال للنشر، ط (1) ، 1991، ص16.

[2] الفضلي عبد الهادي: مذكرة المنطق ، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، إيران ،د(ط)،د(س)، ص 53.

حجمها بنسبة معينة تحت درجة حرارة معينة يتخذ من هذه الظاهرة الطبيعية التي لاحظها أثناء التجربة حكما عاما لجميع الغازات «كل غاز إذا زاد الضغط عليه قل حجمه و إذا نقص الضغط عنه زاد حجمه »

تبنت الوضعية المنطقية مبدءا وهو **مبدأ القابلية للتحقيق principle of verification** ملخصه أن القضية لا يكون لها معنى إلا إذا كان من الممكن التحقق من صحتها أو كذبها فالواقع والخبرة الحسية هما معيار صدق القضايا العلمية و يمكن للباحث القيام بالتحقق من قضية ما بشكل مباشر عن طريق التجربة أمافي حال تعذر ذلك يرد تلك القضية منطقيا إلى قضايا علمية أخرى و يسمى هذا بالتحقق الغير المباشر[1] .

لهذا لابد من التطرق للخطوط الأساسية التي اجتمع عليها إذا جاز التعبير.

إن أنصار الوضعية المنطقية يرون أن اكتساب المعرفة لا تتم عن طريق أفكار قبلية موجودة بشكل مسبق بل عن طريق معطيات الخبرة الحسية و أن الواقع و خبرتنا به هو معيار صدق معارفنا و عن طريق الخبرة يستطيع الباحث أن يميز بين العبارات ذات معنى و العبارات الخالية من معنى فالأولى صادرة من الواقع و لها تعيين فيه و مطابقة له أما العبارة الخالية من المعنى فلا وجود لها غلا في خيال الإنسان و أفكاره الماورائية[2] .

"كارناب" يميز بين نوعيين من التحقيق: تحقيق مباشر و تحقيق غير مباشر فالتحقيق المباشر هو الذي يمكننا من اختبار قضية بشكل مباشر و ذلك عن طريق الإحساس الحاضر مثل : أرى الآن مربع أحمر على أرض زرقاء فإذا كنت أرى حاليا مربعا أحمر على أرض زرقاء لتتحقق القضية بشكل مباشر بهذه الرؤية، أما إذا كنت لا أرى ذلك ،إذا لكان ذلك دحضا للقضية و يعتمد هذا النوع من التحقيق على ما اسماه الوضعيون بالجمل البروتوكولية و هي تلك الجمل التي تنتمي إلى بروتوكول أساسي أو تسجيل مباشر لتجربة العالم الفيزيائي ويدخل في هذه الفكرة توضيح الإجراء العلمي الفعلي إذا كانت التجارب و الإدراكات الحسية و الشعور و الأفكار في الحياة الفعلية[3].

أما التحقيق الغير مباشر فهو الذي يركز عليه " كارناب" اهتمامه و ذلك لان معظم قضايا العلم تقوم على هذا النوع من التحقيق هذا من ناحية و من ناحية أخرى لأن هذا النوع من التحقيق هو الذي يمكننا اكتشاف القضايا الأصلية من القضايا الزائفة و يضرب لنا مثال لتوضيح هذا النوع من التحقيق افترض ق1:هذا المفتاح مصنوع من الحديد. هناك عدة طرق لتحقيق هذه القضية أن أضع المفتاح مثلا بالقرب من مغناطيس و عندئذ أدرك حسيا إن المفتاح قد انجذب و الاستنباط الذي يجري هنا يتم بهذه الطريقة.

ق1: هذا المفتاح مصنوع من الحديد هي : قضية مختبرة.

ق2: إذا وضع الحديد بالقرب من مغناطيس إذن لا ينجذب يعني:قانون فيزيائي.

ق3:هذا الموضوع – قضيب و هو مغناطيس- قضية محققة بالفعل.

ق4: المفتاح موضوع بالقرب من القضيب، إن هذا محقق بشكل مباشر بالملاحظة .

---

[1] اختيار ماهر: إشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوبر في النظرية و التطبيق، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب دمشق،2010، ص23.

[2] المرجع نفسه، ص 24.

[3] نفادي السيد: مبدأ التحقيق عند الوضعية المنطقية ، دار المعرفة الجامعية ، 1991، ص12.

و من هذه المقدمات الأربع يمكننا أن نستنبط النتيجة:

ق5: سوف ينجذب المفتاح الآن للقضيب.

هذه النتيجة يعتبرها "كارناب" قضية تنبؤ يمكن للمرء أن يفحصها عن طريق الملاحظة فإما أن يلاحظ الانجذاب أو لا يلاحظ فإذا لوحظ كان الدليل ايجابي أي دليل تحقيق القضية واحد و أذا لم يلاحظ كان ذلك دليل عدم برهان القضية واحد[1] .

[1] نفادي السيد: مبدأ التحقيق عند الوضعية المنطقية، مرجع السابق، ص 13.

ثانيا- مفهوم الميتافيزيقا:

يعتبر مصطلح الميتافيزيقا مصطلح يوناني عربه العرب من كلمة "تامتافوسيكا" تعني ما بعد الطبيعة[1] كما يلاحظ فهي تتكون من لفظتين "ميتا"وتعني ما بعد وتفيد الترتيب ، "فيزيقا"وتعني الطبيعة وقد أطلقها "أندرينيقوس الرودسي"أحد تلامذة "ارسطو"في القرن الأول قبل الميلاد أثناء ترتيبه لمقالات أستاذه والتي نسخها ورتبها بعدما انتهى من نسخ وترتيب مقالات في الطبيعة،نظرا لأن "ارسطو"لم يعنونها،ولهذا جاء هذا المصطلح ليفيد الترتيب المكتبي فقط، وبالتالي فإن الاسم لا علاقة له بمضمون موضوع هذا العلم[2].

لكن المشتغلين بالفلسفة والشراح اعتقدوا بدءا من القرن الأول ميلادي أن هذا المصطلح يدل على مضمون الكتاب الذي حصره في البحث عن الوجود من حيث هو موجود، وأصبحت الميتافيزيقا عندهم:البحث في الأمور التي تتجاوز الطبيعة[3].

إلا أن عبد الرحمان بدوي يرفض هذا التأويل و يعتبره متناقضا وفكر ارسطو. إذا فهم أن موضوع هذا العلم يتجاوز نطاق العالم "كوسموس"لأن تصور "أرسطو" أنه ليس وراء العالم شيء أما إذا فهم أن موضوع هذا المصطلح هو الموجودات غير الخاضعة للكون و الفساد فإنه يعتبره التصور الأرسطي الصحيح لهذا العلم،أما المصطلح الذي أطلقه "أرسطو"على معالجته لمواضيع ومشاكل ميتافيزيقية فقد أطلقه حسب الموضوع و الغاية التي يتوخاها،فسماها الفلسفة الأولى،و الأول هنا يفيد القيمة و الهدف.

يعتقد"إمام عبد الفتاح إمام" أن:كلمة أول تدل على الأسبقية المنطقية ،لأن في رأيه موضوع الميتافيزيقا يسبق منطقيا موضوع بقية العلوم كونه الموضوع المفترض،رغم ترتيبه في الأخير من حيث الدراسة، ذلك أن الدارس يبدأ أولا بدراسة العلوم الجزئية(العلوم الطبيعية) لينتهي بالعلم الأول أي الفلسفة الأولى، و لذلك فهي الهدف الأقصى الذي يسعى محبي المعرفة إلى معرفتها، و بمعنى أرسطي هي الحكمة التي تسعى لامتلاكها جميع العلوم الأخرى » [4].

المكانة التي احتلتها الميتافيزيقا جعلت يوسف كرم يرى أنه يجب إطلاق عليها مصطلح "ما قبل الطبيعة" أو ما "فوق الطبيعة" نظرا لمكانتها الرفيعة بين العلوم العقلية القديمة، يعلل حكمه هذا بالأسباب التالية : من علو موضوعها نظرا لأنه يتناول العلل الأولى أي علة العلل ، و الذي يعتبر أسمى المواضيع ، و أن العلوم الطبيعية تستند إليه ، ذلك لأن الطبيعة ذاتها تستند على العلة الأولى المطلقة "الله"، لأن هذا العلم متقدم على العلم الطبيعي لوجود فرق حسي بين البعدية المكانية و التنبعية الوجودية[5].

---

[1] بدوي عبد الرحمان:موسوعة الفلسفة، ج2، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، ط(1)، 1984، ص 300.

[2] صليبا جميل:المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص304.

[3] بدوي عبد الرحمان:موسوعة الفلسفة ، المرجع السابق،ج2،ص493.

[4] إمام عبد الفتاح إمام:الميتافيزيقا، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، 1986، ص ص 77- 78.

[5] كرم يوسف: الطبيعة و ما بعد الطبيعة، دار المعارف، مصر، 1966، ص135.

أما من حيث الموضوع فمن الصعوبة تحديده ، ذلك لأن عصر و حضارة اهتماماتها الميتافيزيقية الخاصة ففي بداية الحضارة اليونانية كان اهتمام المدارس الفلسفية الأولى ينصب على البحث في أصل الوجود ، هناك من أرجعه إلى الماء و هناك من أرجعه إلى التراب و آخرون أرجعوه إلى النار،بينما أرجعه البعض إلى الهواء و كل هذه التفسيرات تصب في قالب واحد « البحث عن أصل الوجود و طبيعته و من ثمة كان موضوع الميتافيزيقا عند هؤلاء العلل الأولى و المبادئ الأولى للوجود » [1].

إضافة إلى أصل الكون تناوله "سقراط" و ركز على الجوانب الأخلاقية و الكليات، لهذا فقد وجه الميتافيزيقا توجيها أكسيوميا و ابستيمولوجيا[2] .

هو ما توسع فيه "أفلاطون"الذي جعل محور ميتافيزيقاه نظرية المثل و الجدل و نظرية المعرفة و يتجلى هذا في تمييزه بين عالم المحسوسات و عالم الحقيقة أو المثل و الحقيقة الكلية المتمثلة في المثال الذي يعتبره أساس كل ما في هذا العالم، من ثم فإن عالم الظواهر عالم زائف لأنه عبارة عن محاكاة لعالم الحقيقة، يتكون عالم المثل من الحقائق الموضوعية المستقلة المجردة عن كل زمان و مكان ، لهذا يمكن إدراكه دون الاعتماد على عالم الحس إلا أن معرفة عالم الظواهر يعتمد بالضرورة على المثل باعتباره عالم الكليات العقلية الخالصةو الذي هو عبارة عن فكر[3].

إلا أن تحديد موضوع الميتافيزيقا كان أكثر وضوحا و تركيزا في مؤلفات أرسطو، الذي ألف مقالاته و سماها الفلسفة الأولى تمييزا لها عن الفلسفة الثانية التي تتناول العلوم الجزئية الطبيعية[4].

موضوعها حسب أرسطو الوجود الروحي و لواحق الوجود التي يعتبرها مبادئ أولى للوجود و التي يحدها أرسطو بقوله « و أما العلم الأول، فهو للأشياء المفارقة و التي لا تتحرك أيضا، فمضطر أن تكون كلها مؤيدة و أكثر ذلك هذه، لأن العلل للأشياء الظاهرة من الإلهي » [5].

كما يحدد موضوعها في مقالة أخرى بقوله: و «خليق أن تكون الفلسفة الأولى تستقصي القول في جميع الأشياء، فإنها تشتمل على جميع المبادئ و على ما هو أول »[6].

هو ما تناوله في كتاب الطبيعة حيث اعتبر أن النظر في المبدأ عن طريق الصورة هل هو واحد أو كثير ؟ ما هو ؟ أو ما هي على الاستقصاء؟ فإن تلخيص ذلك من عمل الفلسفة الأولى "، فما هي الأشياء المفارقة التي لا تتحرك؟ إنها الوجود الروحي المطلق، بمعنى المحرك الأول الذي هو فعل محض و عقل محض، كما يصدق هذا أيضا على عقول الأفلاك المجردة عن المادة و غير خاضعة للكون و الفساد، و أما قوله:« فإنها تشمل على جميع المبادئ و على ما هو أول »[7].

---

[1] أبو ريان محمد علي: تاريخ الفكر الفلسفي (الفلسفة اليونانية)، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1976، ص51.

[2] أبو ريان محمد علي: تاريخ الفكر الفلسفي(الفلسفة اليونانية)، المرجع نفسه، ص 52

[3] أفلاطون: الجمهورية، موفم للنشر، الأنيس سلسلة العلوم الإنسانية، 1990، ص 53.

[4] توفيق الطويل: أسس الفلسفة،دار النهضة العربية، القاهرة، ط(4) ، 1964، ص 233.

[5] أرسطو: المقالة السادسة الهاء، ضمن ابن رشد، تفسير مابعد الطبيعة، ج2، ص 707.

[6] أرسطو المقالة الأولى الألف ضمن المصدر السابق، ج1، ص 160.

[7] أرسطو: الطبيعة، ج2، تر إسحاق بن حنين، تح، عبد الرحمن بدوي، الدار القومية للطباعة و النشر، القاهرة، مصر، 1964، ص 75.

مصطلح مبدأ دون تحديد يعتبر عاما يصدق على جميع المبادئ دون استثناء، فماذا يعني المبدأ ؟ لقد تناوله لالاند من ناحيتين" من الناحية اللغوية هو الأول أو نقطة البدأ ، أما فلسفيا فيفهم منه عدة معان كالمعنى الوجودي الذي يعني سبب الحادث أو مصدر الحادث[1] .

سواء كان سببا ماديا أو صوريا أو غائيا، فيطلق مثلا على العناصر التي تكون الشيء، كقولنا مثلا أن كل جسم له مادة و صورة، والبذرة هي مبدأ الثمرة، و يعرفه ابن سينا بقوله : « المبدأ يقال لكل ما يكون قد اشتم له وجود في نفسه إما عن ذاته و إما عن غيره، ثم يحصل عنه وجود شيء أخر و يقوم به »[2].

كما يطلق على العلة الكافية لوجود الشيء أما المعنى الذهني فإنه يدل كذلك على عدة معاني كالمعنى المنطقي الذي يطلق على القضايا الأولية البديهية التي تكون واضحة بذاتها و لا تحتاج إلى ما هو أوضح منها ومن ثم لا يتطرق إليها الشك مثل مبادئ العقل كمبدأ الهوية، وعدم التناقض و مبدأ الثالث مرفوع، وكلها مبادئ عامة كما تطلق على المبادئ الخاصة بكل علم مثل البديهيات الرياضية، هذا بالإضافة إلى أن مقدمات القياس تعتبر مبادئ ينطلق منها العقل ليصل إلى نتائج و هناك المعنى الابيستيمولوجي الذي يطلق على المبادئ العلمية التي تفسر عددا كبيرا من الحالات مثل مبدأ "أرخميدس".

كما يطلق على النظريات الأساسية للعلم و قضاياه الرئيسية مثل نظرية النسبية و نظرية الإلكترون فالعبارة " تشمل جميع المبادئ التي قال بها أرسطو رغم أن بعض المفاهيم حديثة تشمل كل ما هو مبدأ سواء من الناحية الوجودية أو المنطقية أو الابيستيمولوجية. كما استعمل أرسطو عبارة من حيث " على ما هو أول" حيث أن المبدأ الأول هو " الحقيقة" التي تتخذ أساسا لبناء عقلي شامل[3].

لكن يقصد به هنا "أرسطو "الله" الذي هو مبدأ المبادئ. و هو ما تبناه فيما بعد "الفارابي ' و "ابن سينا"، كما حدد "أرسطو" الجوهر ضمن مواضيع الميتافيزيقا بقوله:« إن النظر إنما هو في الجوهر، و ذلك أن المطلوب هو علل الجوهر و مبادئه » [4].

حيث يشرح الاسكندر هذا بقوله:« لما تكلم في الجوهر المتحرك جعله قسمين سرمدي، و كائن فاسد، يقول أن الكلام في هذين الجوهرين لصاحب العلم الطبيعي و ذلك و ذلك أن النظر الطبيعي إنما هو في الحركة من حيث يأخذ مبادئ هذه الفلسفة الأولى، إن الجوهر الغير المتحرك فالكلام فيه خاص بالفلسفة الأولى» [5].

من خلال النص السابق يتضح أن أرسطو يقر بوجود نوعين من الجواهر، جواهر مفردة محسوسة و يطبقها على كل كائن جزئي مفرد مثل زيد عمر...أما العلم الذي يتناوله فهو العلم الطبيعي و جواهر مفارقة و تطلق على كل ذات ليست في موضوع عددها مساو لعدد الجواهر الموجودة في العالم الحقيقي و أول هذه الجواهر هو "الله" و العقول التي تحرك الأفلاك السماوية و العقل البشري الفاعل...

---

[1] لالاند:موسوعة لالاند الفلسفية، تر: أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ص1170 .

[2] إبن سينا: النجاة، ج2، تحقيق:عبد الرحمان عميرة، دار الجيل، بيروت، لبنان، د(ط)، د (س)، ص343.

[3] أرسطو: الطبيعة، المرجع السابق، ص75.

[4] صليبا جميل: المعجم الفلسفي، ج2، المرجع السابق، ص320.

[5] المرجع نفسه، ص320.

هذه الجواهر يعرفها "ابن سينا"بأنها :« اسم مشترك يقال جوهر لذات كل شيء كالإنسان أو كالبياض و يقال جوهر لكل موجود لذاته لا يحتاج في الوجود إلى ذات أخرى يقارنها حتى تقوم بالفعل»[1].

خلاصة القول فإن موضوع الميتافيزيقا عند أرسطو هو الوجود بما هو موجود و صفات الوجود الجوهرية كالوحدة و الكثرة و الذات و التغير و الامتداد بوجه عام و التقدم و التأخر و الجنس و الكل و الجزء و المبادئ الخاصة بكل علم.

[1] ابن سينا : النجاة، المرجع السابق ،ص :344 .

المبحث الثاني

المرجعيات الفكرية للوضعية المنطقية

1- التجريبية الإنجليزية:

من المرجعيات و المنطلقات الفكرية للوضعية المنطقية نجد التجريبية الإنجليزية بزعامة "جون لوك" و "دافيد هيوم" ، فالمذهب التجريبي يقوم في المعرفة على أساس أن التجربة هي المصدر النهائي لكل معرفة و أن الحواس وحدها هي أبواب المعرفة فليس في العقل شيء لم يمر بالحس أولا و ينكر التجريبيون أن يولد العقل مزودا بأفكار فطرية و قد اهتم التجريبيون بالعلوم الطبيعية التي تعتمد على التجربة و أنكروا قدرة العقل ان يضمن لنا صدق القضايا التركيبية التي تخبرنا بشيء عن طبيعة العالم.

1- جون لوك john locke (1632-1704):

نشأ نشأة تطهرية بالمعنى الدقيق، التحق "لوك" بمدرسة وستنستر عام 1646 حيث اكتسب الأساس التقليدي في الآداب الكلاسيكية ،اهتم بالتجارب العلمية و بفلسفة "ديكارت" أسس لبرنامج جديد هو بناء المعرفة على التجربة وحدها ،فهو يعتبر أول من اهتم بالبحث عن أصول المعرفة في الذهن الإنساني و أول من نقد بشاعة الأفكار الفطرية التي قال بها "ديكارت و لايبنيتز"[1].

جاء هذا الرفض في قوله:« إن الناس يمكنهم الوصول إلى أية معرفة بواسطة استعمال قدراتهم الطبيعية و بدون الحاجة إلى انطباعات فطرية» [2].

رفض "جون" فطرية الأفكار لثلاثة حجج رئيسية:

- الحجة الأولى: هي حجة الاجتماع أو الاتفاق: يقول "لوك" : «ليس هناك ليس هناك شيء مسلم به أكثر من القول بوجود مبادئ معينة نظرية و علمية متفق عليها بين جميع أفراد الناس أكثر من القول بوجود مبادئ معينة نظرية و علمية متفق عليها بين جميع أفراد الناس »[3].

رفضت هذه الحجة كون أن الاتفاق يشمل كل أفراد المجتمع في حين نجد مثلا أن مبدأ عدم التناقض لا يحظى بالموافقة الاجتماعية لأنه ليس معروف لدى عدد كبير من الأفراد و خاصة منه الأطفال و المجانيين[4].

- الحجة الثانية: هي تأكيده على خطأ دعاة الأفكار الفطرية عندما يقولون إن العقل مكتشف لتلك المبادئ الموجودة فيه، لأن العقل نفسه ليس إلا قدرة أو وظيفة تقوم باستدلال حقائق غير معروفة أي مبادئ أخرى معروفة من قبل فالإنسان حين يستخدم عقله و يعرف هذه المبادئ يستنتجها استنتاجا من بعض الأفكار الأخرى و بالتالي فلن يكتشف العقل ماكان فيه من قبل و بالتالي لا تكون هاته الأفكار الفطرية فيه[5].

---

[1] كولبة اوزفيلد: المدخل إلى الفلسفة، تر : أبو العلاء العفيفي، ط 3، القاهرة 1995، ص 275.

[2] راسل برتراند: حكمة الغرب الفلسفة الحديثة و المعاصرة، ج2، تر: فؤاد زكريا، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب،الكويت،1983، ص82.

[3] مولا علي: أطلس الفلسفة ، تر: جورج كتورة، المكتبة الشرقية، د (ط)، د (س) ، ص 121.

[4] إسلام عزمي: جون لوك، دار المعارف، مصر، د(ط)، 1964، ص 39.

[5] عبد المنعم راوية: جون لوك إمام الفلسفة التجريبية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د(ط)، 1996،ص 54.

- **الحجة الثالثة:** العلمية كما يسميها فهي تأكيد على أن فكرة عبادة الله فكرة فطرية، بلى هناك كثير من الأفراد و الأمم لم تدرك و لم تصل إلى فكرة الله بل و حتى بين هؤلاء الذين يدرونها نجد أن هناك اختلافا في طبيعة هاته الفكرة[1].

إن الملاحظ لهذه الحجج سيجدها لا محالة تعبيرا عن رفض المصدر القبلي للمعرفة، أي رفض الأفكار الفطرية كمصدر من مصادر المعرفة، هذا الطرح يجعلنا مجبرين على تقديم الاستفسار التالي: إذا كان "لوك" رفض نظرية الأفكار الفطرية كمصدر للمعرفة فما هو المصدر البديل الذي أتى به "لوك" و الذي يفسر نشوء الأفكار و التصورات في أذهاننا؟

إن هذا الطرح قابلته إجابة مباشرة من "جون لوك" بقوله :« سأجيب بكلمة واحدة من التجربة يمكن أساسا معارفنا و منها تستمد مصدرها الأولى» [2].

حيث نجد في كتاب الفلسفة الحديثة لابراهيم مصطفى ابراهيم توضيحا لما سبق « فالعقل صفحة بيضاء خالية من كل فكرة» [3].

يمكن القول أن أول مصدر يزود عقولنا بالأفكار هو موضوع الحس و الذي يعتمد اعتمادا كليا على حواسنا التي تنتزع تلك الإحساسات و توصله إلى عقولنا هو ما نسميه باسم الإحساس.

أما المصدر الثاني الذي يزود عقولنا بالأفكار فهو إدراكنا لعمليات العقل الداخلية تلك العمليات التي تقوم بها النفس حين تفكر و تتأمل في تلك الأفكار التي تكونت في العقل بواسطة الحواس و هو ما يسميها باسم التفكير أو التأمل الذاتي[4].

الأفكار عند " لوك" قسمين: أفكار الإحساسات تلك التي تنطبع في عقولنا نتيجة تأثير الأشياء الخارجية المادية على حواسنا و على أفكار الاستبطان فيقصد بها أنه حينما ندرك الأشياء المادية أو نتذكرها أو نتخيلها، نقوم بهاته العمليات و نحن نعرف أننا كائنات تقوم بهذه العمليات إذن فالحواس تنقل إلينا الأفكار و الانطباعات عن الأشياء الخارجية و عن الكيفيات الحسية فالنفس تبدأ فالحصول على الأفكار عندما تبدأ في الإدراك الحسي[5].

حيث يقسمها كذلك من حيث الترتيب إلى أفكار بسيطة و أخرى مركبة، فالأفكار البسيطة هي الانطباعات الحسية المنفصلة في الذهن الذي يكون عنها أفكار و صور ذهنية واضحة متميزة تتكون بواسطة الإحساس أو التفكير[6].

---

[1] عبد المنعم راوية: جون لوك إمام الفلسفة التجريبية، المرجع السابق، ص 56.

[2] علي مولا: أطلس الفلسفة، المرجع السابق، ص 124.

[3] ابراهيم مصطفى ابراهيم: الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، دار الوفاء للطباعة و النشر ، الإسكندرية، د(ط)، 2000، ص 263.

[4] إسلام عزمي: جون لوك، دار المعارف، مصر، د(ط)، 1964، ص 53.

[5] إبراهيم مصطفى إبراهيم: الفلسفة الحديثة من ديكارات إلى هيوم، المرجع السابق، ص 264.

[6] إسلام عزمي: جون لوك، المرجع السابق، ص 56.

أما الأفكار المركبة فهي نتيجة قيام العقل بعملياته الفكرية المختلفة من تذكر و تصور و مقارنة و تخيل فهي تنتج من تأليف أفكار متمايزة مثل أفكار الجواهر و العلاقات فالعقل هنا يقوم بدور ايجابي في إيجاد الفكرة المركبة و إذا قامت التجربة بخطها على صفحته دون تدخل منه و العقل يقوم بصنع هاته الأفكار المركبة من البسيطة بعمليات ثلاث: التركيب، المقارنة، و التجريد [1] .

بعدما قسم "لوك" الأفكار إلى أفكار الإحساس و أفكار الاستبطان قسم المعرفة إلى ثلاثة أقسام: المعرفة الحدسية و المعرفة البديهية أي لا يحتاج الإنسان فيها إلى برهان إنه الحدس الذي تعتمد عليه جميع معارفنا المؤكدة و الواضحة و هي المعرفة الواضحة بذاتها.

2- دافيد هيوم:

إن أولى المقدمات التي يقيم عليها "دافيد هيوم" (1711- 1776) فلسفته في التصور هو تفرقة ما هو انطباع و ما هو فكرة حيث قسم الادراكات إلى انطباعات و أفكار تقوم بينهما مجموعة من العلاقات و لا يوجد فارق بينهم إلا فارق في الدرجة و الشدة حسب "هيوم" و الذي أتيح له الرأي إليهما طبيعة متشابهة وبذلك يكون وجود مصدر خارجي للانطباعات[2].

الانطباعات هي مصدر الأفكار و أسبابها و ذلك كون الاقتران المتتابع لإدراكاتنا المتماثلة هو دليل كافي على أن بعضها سبب البعض الأخر، وأن أسبقية الانطباع هو أكبر دليل على أن الانطباعات هي أسباب أفكارنا[3].

وتنتج الأفكار من انطباق الانطباع على الحواس و يجعلنا ندرك حرارة ظمأ أو جوع و ثمة نسخة من هذا الانطباع يحصل عليها الذهن و تظل الفكرة عن اللذة و الألم في النفس انطباعات جديدة بالرغبة و النفور بالألم و هذه الانطباعات تنسخ من جديد بواسطة الذاكر أو الخيال و تصير أفكار أو هذه تؤدي بدورها إلى نشؤ انطباعات و أفكار أخرى.

فالتجربة توضح لنا بأن الانطباع حين يمثل في الذهن يتخذ بعد ذلك مظهر فكرة و يحدث هذا على منوالين: الأولى: عندما يحتفظ في مظهره الجديد بدرجة من حيويته الأولى فيكون وسط بين انطباع و فكرة فتقوم الذاكرة باستعادة الانطباع على المنوال الأول أما الثاني هي حالة فقد الحيوية يقوم الخيال باسترجاع الانطباع على المنوال الأول[4].

إن الاستدلال على أي فكرة عند "هيوم" يعرف انطلاقة من إقامة علاقات بين موضوعين أو أكثر سواء أكانت تلك العلاقة ثابتة أم متغيرة، هذه العلاقات التي أحصاها "هيوم" هي علاقة التسامح بين العلة و المعلول و علاقة التداخل المترامية بين العلة و المعلول و علاقة الاقتران الضروري[5].

---

[1] إبراهيم مصطفى إبراهيم: الفلسفة الحديثة من ديكارات إلى هيوم، المرجع السابق، ص 266.

[2] المرجع نفسه، ص 270.

[3] زكريا فؤاد:نظرية المعرفة و الموقف الطبيعي للإنسان،مكتبة مصر، د(ط) ، د(س)، ص115 .

[4] المرجع نفسه، ص 23.

[5] إبراهيم مصطفى إبراهيم: الفلسفة الحديثة من ديكارات إلى هيوم، المرجع نفسه، ص 271.

على ضوء هذا الطرح الذي يوضحه الفكر الهيومي حيث أرجع المعارف إلى التجربة باعتبار أن التجربة هي مصدر نشوء التصورات في الذهن البشري و العلية كفكرة من أفكار العقل لا يمكن لها أن تخرج بأية حال من الأحوال عن هذا الإطار و حسب " هيوم" العلاقات العلة و المعلوم بواسطة التجربة و ليس بواسطة الادراك العقلي المجرد و ليس هناك أي ظاهرة بسيطة يمكن تفسيرها بواسطة نوعية الأشياء كما تظهر لنا و التي يمكن رؤيتها مسبقا بدون مساعدة ذاكرتنا و تجربتنا.

2- الوضعية الجديدة:

إلى جانب وضعية "أوغست كونت" و أتباعه التي كانت تشكل في فرنسا الفلسفة الرسمية للعلم في القرن التاسع عشر عرفت ألمانيا خلال نفس القرن اتجاها وضعيا ظاهريا تزعمه العالم الفيزيائي "أرنست ماخ" و لقد كان لهذا الاتجاه الظاهراتي الذي يرتبط مباشرة بمادية "باركلي" رد فعل عنيف ضد الفلسفة المثالية الألمانية و على أساس هذه النزعة الظاهراتية المعرفة الحسية قامت الوضعية الجديدة بمختلف اتجاهاتها و فروعها و هي فلسفة منتشرة في أنحاء كثيرة من العالم العربي

المدرسة الوضعية الجديدة هي الوحيدة التي تمثل الاتجاه التجريبي تمثيلا حقيقيا في ق 20 و تعود جذورها إلى المذهب الوضعي التقليدي عند "أوغست كونت" و"جون ستيوارت مل" و من قبلهما إلى المدرسة الانجليزية التجريبية في القرن الثامن عشر م ، مصدرها المباشر هو المدرسة التجريبية النقدية الألمانية و كان "يوزف" (1862- 1929) أحد تلاميذه " أفيناريوس" هو الذي نقل إلى هذه المدرسة رئاسة المجلة السنوية للفلسفة و من التيارات الأخرى التي أثرت بقوة على ظهور الاتجاه الجديد غير المدرسة التجريبية النقدية الالمانية مدرسة -نقد العلم- الفرنسية و نظريات "راسل" و كذلك تطورات المنطق الرياضي و علم الطبيعة في القرن العشرين "أنش" و قد ظهرت المدرسة من حلقة بحث كلن يقوده "شيلك" حقته فيينا 1929 و تدعى هذه المدرسة أحيانا بالوضعية الجديدة و أحيانا أخرى بالتجريبية العلمية كما اشتهر بعض فروعها باسم الوضعية المنطقية أما الاسم الغالب عليها و الذي يضم مختلف فروعها فهي التجريبية المنطقية[1].

فهي تجريبية لأنها كباقي النزعات التجريبية ترى أن التجربة هي المصدر الوحيد لكل ما يمكن أن يحصل عليه من معارف عن الواقع فليس هناك أيه أفكار قبلية و لا أية بداهة عقلية و بالتالي فان القضايا التي ستحدث عن أشياء لا يمكن التحقق منها بالتجربة هي قضايا فارغة من المعنى" مثل القضايا الميتافيزيقية.

هي منطقية لأنها لا توافق "هيوم" و جماعة التجريبيين الإنجليز في رأيهم القائل باستحالة بلوغ اليقين سواء في الميدان الفلسفي أو الميدان العلمي لكون جميع معارفنا مستمدة من المعطيات التجريبية الحسية المتغيرة و باستمرار، إن التجريبية المنطقية ترى على العكس من ذلك الحصول على معارف يقينية في ميدان العلم شريطة التقيد الصارم بالمنطق الذي هو علم استدلالي صوري بحت مثله مثل الرياضيات ،ولذلك يميز المناطقة الوضعيون بين القضايا التي تنطوي على معنى و القضايا الفارغة من كل معنى، الأولى هي القضايا التركيبي و القضايا التحليلية أما القضايا الأخرى الفارغة من المعنى هي كل القضايا التي لا تنتمي إلى عالم الرياضيات و العلوم الطبيعية كالقضايا الميتافيزيقية المعروفة[2].

---

[1] الجابري محمد عابد : مدخل إلى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة و تطور الفكر العلمي، المرجع السابق، ص27.

[2] بوشنسكي ا.م:الفلسفة المعاصرة في أوربا،تر:عزت قرني،المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب،1992 ، ص120.

3 - الوضعية المنطقية:

هي موضوع بحثنا هذا،هي حركة فلسفية معاصرة سميت بهذا الاسم لأن أنصارها وضعيون بمعنى أنهم كالعلماء يريدون بالإنسان أن يقف بفكره عند الحدود التي يستطيع عندها أن يقيم علمه على تجاربه و خبرته نشأت هذه الحركة في "فيينا"التي تطورت فيما بعد باسم الوضعية المنطقية و ترأسها "موريس شليك"وكان يمثل الجانب الفلسفي وبفضله بدأت تشق طريقها، كان متخصصا في الفيزياء وفي سنة 1992 أطلقت جماعة فيينا على نفسها اسم حلقة فيينا و أصدرت منشور بعنوان "وجهة نظر علمية إلى العلم" تحدد فيه موقعها من المشكلات الفلسفية و المنطقية و الرياضية و الفيزيائية و الاجتماعية[1].

طور أفكار هذه الجماعة "كارناب"و "اير"و التي سميت بالوضعية المنطقية و من أبرز أفكارها إنكار الميتافيزيقا و معيارهم في ذلك هو مبدأ التحقيق و أنهم برروا رفضهم لها لا على أنها مجرد أقوال خاطئة بل على أنها خالية من المعنى أي:كلام لا معنى له لاهي صادقة،ولا هي كاذبة ،فسارت الوضعية المنطقية على النهج نفسه لجماعة فيينا في نظرتها إلى الميتافيزيقا[2].

بما أن الوضعية المنطقية امتداد لجماعة فيينا و للنظرية التجريبية فهي بدورها رفضت كل ما هو مجاوز للحس المباشر ،ولكن الجديد الذي أتت به في الفكر هو اتجاهها اللغوي أو المنطقي و إنها تسمي نفسها علمية لأن قضاياها تجريبية لا تعترف إلا بالقضايا اللغوية التي تشير إلى الواقع التجريبي.

إن احترام الوضعية المعاصرة للعلم جاء من خلال التجارب المشاهدة التي أثبتتها النتائج... أما القضايا التي لا تقوم على التجارب و المشاهدة مهما كانت وهما من الأوهام إنها تعترف فقط بالقضايا التحليلية و التركيبية[3].

ماعدا ذلك من القضايا كلام لا معنى له لأنه لا يمكن التحقق منها تجريبيا فمثلا قولنا: " النفس خالدة " أو "المكان لا متناه"فإن مثل هذه القضايا تعد ميتافيزيقا وهي قضايا ليست تحليلية لا يمكن اعتبارها تحصيل حاصل كقضايا الرياضيات و المنطق و لا تدخل ضمن القضايا التركيبية لأن التحقق منها بالخبرة الحسية غير ممكن أبدا لأنه لا يوجد شيء في الطبيعة اسمه النفس يمكن اختباره أو التأكد من وجوده لأنها شيء غير مادي و لا محسوس و نفس الشيء ينطبق على الزمان و المكان.

من العبارات الخالية من المعنى و تعتبر ميتافيزيقية عبارة "مارتن هيدغر":العدم العادم.فهي من الأمثلة التقليدية الدالة على الخلو من المعنى[4].

---

[1] محمود زكي نجيب: حياة الفكر في العالم الجديد، دار الشروق،ط(1)، 1956، ص235.

[2] كارناب ردولف:الأسس الفلسفية للفيزياء،تر:السيد نفادي،دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ط (1) ، 2001، ص10.

[3] علي عواضة حنان: مجلة كلية الآداب، العدد97.

[4] الطويل توفيق:أسس الفلسفة،المرجع السابق ، ص274.

فإن الوضعية المعاصرة ترفض الميتافيزيقا أو المشكلات الفلسفية التي تكونت على طول التاريخ و تنظر إليها على أنها مشكلات متخيلة و لكنها لا تستعيض عنها بمشكلات جديدة وهي تطلب فقط أن تتوقف الفلسفة و تكون نظرية أو تجند نفسها لتحليل القضايا العلمية .

ليظهر فيما بعد اللغوي "فجنشتين"مؤسس الفلسفة التحليلية و الذي كان له تأثير كبير على جماعة فيينا و الوضعية المنطقية وقد أسس فلسفته هذه على أساس علاقته الشخصية مع أعضاء الجماعة أمثال "موريس شليك"و غيره فقد كان يلتقي بهم في الفترة بين 1927.1929.لياقشهم في كتابه رسالة منطقية فلسفية وبهذه الطريقة دخلت أفكاره إلى الجماعة و كانت الفكرة الجوهرية في كتابه هي أن:المنهج الصحيح للفلسفة يمكن أن يكون هو هذا :ألا تقول شيئا مما يمكن قوله أي قضايا العلم الطبيعي أي شيئا لا علاقة له بالفلسفة[1].

تأثر أعضاء جماعة فيينا به بالرغم من أنه لم يكن منظما إليها، لأنه لم يكن مؤمنا بفكرة الانظمام لأي جماعة كانت لهذا لم يكن مؤسسا لها ولا عضوا فيها.ولكن في الوقت الذي كانت فيه الوضعية المنطقية تبرز في أواخر الثلاثينات من القرن العشرين، فإن الوضعيين المعاصرين كانوا يحاولون بناء أفكارهم على أساس فلسفة "فجنشتين" المتمثلة في رسالته ،إذ المنطقية كان مشغولا في تبيان الأخطاء التي كان قد وقع فيها هذا الكتاب و من أجل إيجاد أفكار جديدة[2].

بهذا يكون رافضا للميتافيزيقا معبرا عنها على أنها كلام لا معنى له، ويهدف إلى إقامة لغة مثالية عبر عنها في فلسفته الذرية المنطقية، إلا أنه في البداية نظر نظرة جديدة إلى اللغة و هي فلسفة اللغة العادية فاقتصرت مهمة الفلسفة على توضيح التحليل اللغوي وفي رأيه السابق أن الفلسفة ليست نظرية من النظريات بل هي مجموعة توضيحات أي توضيح للقضايا[3].

إلا أنه يعترف فيما بعد أن عودته إلى الفلسفة كانت سببا في وقوعه في الأخطاء و يتضح ذلك جليا في قوله:مع عودتي إلى الاهتمام بالفلسفة تحتم علي الاعتراف بارتكاب أخطاء[4].

إنه تخلى عن فكرته عن وظيفة اللغة التي كانت في فلسفته الأولى تصويرا للواقع الخارجي فأصبحت في فلسفته الجديدة بمثابة وسيلة التفاهم مع الآخرين و التأثير فيهم بمعنى أخر بعد أن كانت وظيفتها فردية تتفق مع فكرة الأنا وحده التي انتهى إليها و مع فكرته عن الذرية المنطقية التي بدأ بها أصبحت وظيفتها اجتماعية ففي كتابه الثاني "أبحاث فلسفية"رفض إيجاد فكرة لغة رمزية مثالية و اللغة عنده لعبة مثل سائر اللعب.

في اللغة كلمات عديدة تؤدي وظائف مختلفة وهذا ما أسماه "فجنشتين" بلعبة اللغة، و الفلاسفة لسوء استعمالهم اللغة خلقو مشكلات فلسفية كان يمكن تجنبها مثل التشكيك بوجود العالم .وكل هذه و تلك هي أفكار ارتأينا تحليلها و تفصيلها في الفصل الثاني[5].

---

(1) إسلام عزمي: "لودفيج فجنشتين" نوابع الفكر الغربي، دار المعارف، القاهرة، د (ط)، د(س)، ص351.

(2) فجنشتين لودفيج: رسالة منطقية فلسفية، تر:عزمي إسلام، مكتبة الأنجلو المصرية، د(ط)، 1968، ص163.

(3) مجهول فيصل غازي: تحليل اللغة في رسالة فجنشتين المنطقية الفلسفية، دارالعلمية، بيروت، لبنان، ط(1)، 2009، ص51.

(4) فجنشتين لودفيج: تحقيقات فلسفية،تر:عبد الرزاق بنور،مركز دراسات العربية،بيروت،لبنان ،ط (1)، 2007، ص115.

(5) زيدان محمود فهمي: في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،د(ط)، 1985، ص56.

المبحث الثالث

أ- أوغست كونت " وأسس فلسفته الوضعية "

1- "إيزدور أوغست ماري فرانسوا كزافي كونت"

Isidore Auguste Marie François Xavier Comte 19 جانفي 1778، أسس فلسفته الوضعية و من هذا المنطلق فإن مصطلح وضعي في فلسفته يعني: الواقعي و الفعلي المستقل عن معنى الشرع الإلهي و الوضعي بهذا المعنى مرادف للتجريبي الحقيقي و مقابل للتأمل و الخيال الوهمي و الحالة الوضعية في قانون الحالات الثلاث مقابلة للحالة اللاهوتية و الميتافيزيقية ، هذا المعنى يؤكده "أوغست كونت" في قوله :« إن لفظ الوضعي يدل على الحقيقي المقابل للوهمي» [1].

أما الفلسفة الوضعية: فالمعنى العام هو مشترك بين مختلف استعمالات الفكر البشري ، و معنى نقدي و هو مناقض للميتافيزيقا ، ومعنى نسقي. وعبارة فلسفة وضعية في نظر "أوغست كونت" تحمل معنى أوسع من عبارة فلسفة طبيعية ذلك لأن الفلسفة الوضعية لا تنطبق فقط على الظواهر الطبيعية لكنها تنطبق أيضا على الظواهر الاجتماعية أي الظواهر الإنسانية على الأقل من الناحية المنهجية باعتبارها طريقة منظمة للتفكير و صالحة للتطبيق على كل المواضيع التي تستطيع الذات الإنسانية الوصول إليها ، و من ناحية أخرى فإن الفلسفة الوضعية تحمل أيضا معنى أقل اتساعا من عبارة "فلسفة العلوم" لأنها تختص بدراسة المعارف المتعددة الخالصة و الخاصة لكل حقول البحث العلمية[2].

إن هذه التحديدات المفاهمية للفلسفة الوضعية هي تحديدات رئيسية عند "أوغست كونت" لأنه يبرهن بها بأن مشروعه لا يهدف إلى جعل الفلسفة تسير مع العلوم بطريقة محضة إنما يفترض تحديدا صارما لموضوع بحثه بالرغم من أن مشروعه هذا يرتكز على معلومات إنسانية موسوعية و أن مؤلفه "دروس في الفلسفة الوضعية" إذ يقول في كلمة واحدة : إنها دروس في الفلسفة الوضعية و لا في العلوم الوضعية.

في سنة 1825 يبدأ "كونت" في إعطاء محتوى أكثر وضوحا لمفهوم الفلسفة الوضعية و الذي يقول بخصوصه :« لقد حصلت الفلسفة الوضعية اليوم على حركة تصاعدية في الأذهان حيث يفهم بصعوبة في أي عصر ما هي الفائدة و أكثر من ذلك ما هي الضرورة للفلسفة اللاهوتية و الفلسفة الميتافيزيقية كوسائل للبحث» [3].

2- أسس فلسفة كونت الوضعية:

إن لكل مذهب جديد يخضع لاتجاه مزدوج إذ يحاول أن يقرر أصالته و كذلك أن يجد لنفسه بعض المذاهب السابقة التي تبشر به و لذا فهو ينتقد المذاهب القبلية حتى يصل إلى النتيجة الأولى فما هي المذاهب الفلسفي أو الاتجاهات الفلسفية التي و جهت إليها الفلسفة الوضعية نقدها و هجومها ؟

---

[1] صليبا جميل : المعجم الفلسفي ،المرجع السابق، ص577.

[2] برول ليفي: فلسفة أوغست كونت،المرجع السابق، ص13.

[3] المرجع نفسه، ص123.

فيما يخص الإطار التاريخي لفلسفة كونت الوضعية و الاتجاهات النقدية هناك سمة طبعت موقف الفلسفات التقليدية من أفلاطون إلى كانط من العقل و هي اعتبار العقل حائزا بصفة قبلية لكل المقولات اللازمة لمعرفة العالم الخارجي أي حاصل بصورة سابقة على التجربة على استعدادات ذهنية لا أثر للتجربة و لا حتى لتور المعارف عليها فهي تعتبره عقلا نهائيا كامل البناء لا يخضع لأي علاقة جدلية مع المعارف التي ينتجها[1].

من هذا المنطلق فإنه يمكن فهم الحركة الوضعية على نحو أفضل إذا عرفنا الخصم الذي كانت الفلسفة الوضعية تحاربه، فهي كانت رد فعل على الاتجاهات النقدية في ألمانيا ممثلة في مذهب "كانط" و مذهب "هيجل" ومن جهة أخرى فهي رد فعل على الاتجاهات النقدية الفرنسية ممثلة في "ديكارت" و "عصر التنوير" و هكذا يمكن القول أن الفكر الأوربي دخل عهد الوضعية بعد وفاة "هيجل" .

اتخذت الفلسفة الوضعية لنفسها هذا الاسم و هو مذهب كانت له صورة مغايرة تماما عن صورة الوضعية المتأخرة ، إننا نجد الوضعية صفة لفلسفة "شتال"في الوضعية في الدولة ،و نجدها عند "شلنج" في فلسفته الوضعية كما نجدها بطبيعة الحال عند "أوغست كونت" و غيرهم ،لكن منذ البداية و رغم اشتراك "كونت" مع هؤلاء في استعمال الحد الوضعي فإنه من الخطأ أن ترتبط فلسفة كونت الوضعية بوضعية هؤلاء لعدة اعتبارات أذكر منها: أن "شلنج" مثلا من دعاة الميتافيزيقا في أكثر صورها تعاليا ، إلا أنه يريد تجاوزها الميتافيزيقا التقليدية نظرا إلى أنها لا تهتم إلا بمفهوم الأشياء و ماهيتها الخالصة[2].

وفضلا عن ذلك فإن فلسفة "شلنج" توصف بأنها وضعية لأنها تهدف إلى الوصول إلى ما هو فعلي و موجود ونجد "شلنج" يبرر اتجاهاته إلى الوضعية عندما يبرر اهتمام الفلاسفة الانجليز و الفرنسيين على حد سواء بالتجربة ،هكذا أخذ يدافع عن التجربة بقوله:إن الرسالة العظيمة للفلسفة الألمانية ينبغي أن تتجاوز الميتافيزيقا ذات النزعة العقلية عن طريق مذهب وضعي يعمل على تحويل الفلسفة أخر الأمر إلى عالم حقيقي للتجربةلنجد فيما بعد "أوغست كونت " يقف موقفا من فلسفة "هيجل"حيث كان "كونت" يصف فلسفته الوضعية بالفلسفة الإيجابية فإنه في المقابل يصف فلسفة "هيجل"بأنها سلبية و هذه الاعتبارات أهمها : إن فلسفة "هيجل" سلبية بأنها نقدية أي أن كل المبادئ التي أعلنها في فلسفته أدت إلى نقد كل شيء باعتبار أنها تنفي كل معقول و لا عقلي. كما أنها فلسفة سلبية لأنها تبحث في إمكانات الأشياء و لكنها عاجزة عن معرفة واقعها الفعلي و الفلسفة النقدية سلبية لأنها تقتصر على الصورة المنطقية و لا تصل أبدا إلى مضمون الأشياء الفعلي الذي لا يمكن استنباطه من هذه الصور[3].

من هنا يتضح أن الفلسفة السلبية نظرا لبنائها التصوري تنفي الأشياء على ما هي عليه باعتبار أن الأمور الواقعة التي تؤلف الواقع القائم أو الحالة الراهنة حيث ينظر إليها في ضوء العقل تصبح سلبية و محدودة و عارضة

---

(1) يفوت سالم: العقلانية المعاصرة بين النقد و الحقيقة، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت،ط(2)،1989، ص65.

(2) هربرت ماركيز:العقل و الثورة،تر:فؤاد زكريا،المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، د(ط)، 1979، ص311.

(3) المرجع نفسه، ص314.

أي تصبح صورة زائلة و بهذا فالجدل الهيجلي في ميزان الوضعية يعتبر نموذجا لكل سلب و هدم مما هو معطى باعتبار أن كل شيء معطى تنتقل فيه إلى نقيضه و لا نصل إلى مضمونه الحقيقي إلا بهذا الانتقال.

أما عن موقف كونت من **"كانط"** فإن فلسفة هذا الأخير لم تسلم من رد فعل الوضعية رغم المحاولة التجديدية التي قامت بها الكانطية المتمثلة في إعادة النظر في قيمتها الفلسفية بواسطة فعل النقد غير أن هذه المحاولة لم تنف عنها صفة القبلية فالكانطية حاولت أن تعيد النظر في قيمتها الفلسفية انطلاقا من القيم العلمية المستجدة لا سيما تلك التي أفرزها العلم النيوتيني و بهذا فإن فلسفة "كانط" بدورها تطرح إشكالية العقل و المعرفة طرحا ميتافيزيقيا و هي إشكالية قبلية لأنها تنظر إلى العقل على أنه يملك و بصورة قبلية كل المقولات الضرورية لمعرفة الواقع [1].

الذهن حسب كانط يملك الصورة الكلية التي تنظم ثورة المعطيات التي تفتحها له الحواس باعتبار أن صورة الحدس و هي الزمان و المكان و صور الفهم و هي المعقولات أي الكليات التي ينتظم بها الذهن هذه الكثرة الحسية ليجعل منها تجربة متصلة لكن هذه المعقولات قبلية بالنسبة لكل إحساس بحيث أنها تحصل الانطباعات الحسية ثم يقع تركيبها على أساس هذه الصورة و لذلك فالتجربة لا تقدم نظاما ضروريا ومن هنا فإن كانط رغم محاولاته التجديدية عندما يعطي للتجربة و لمعطيات العلم أهمية إلا أنه في الأخير يعطي السلطة للذات على الواقع و لذلك تظل ميتافيزيقية و يظل العقل سلبي في نظر الوضعية[2].

[1] يفوت سالم:العقلانية المعاصرة بين النقد و الحقيقة،المرجع السابق، ص56.

[2] المرجع نفسه، ص57.

الفصل الثاني

أسس المنطقية لوضعية رد ولف كارناب

المبحث لأول: الفضاء الوضعي و انعكاساته على حلقة فيينا

(فجنشتين، راسل).

المبحث الثاني : الوضعية المنطقية و نقدها للميتافيزيقا

المبحث الثالث : رودولف كارناب و استبعاده للميتافيزيقا

المبحث الأول

الفضاء الوضعي و انعكاساته على حلقة فيينا
(فجنشتين، راسل)

ارتأينا في هذا المبحث أن نتطرق لأفكار "فجنشتين" التحليلية و فلسفة "راسل" المنطقية و بالنسبة للأول اتخذنا مؤلفه الشهير الموسوم ب "رسالة منطقية فلسفية "و هو الكتاب الذي نجد فيه أفكاره واضحة.

لقد مَّر أزيد من ثمانية عقود من الزمن على نشر هذا الكتاب و أنه من أجل فهمه ينبغي أن نعود بذاكرتنا إلى الجو الفكري الذي كان سائدا في ذلك الوقت إذ بالنَّظر إلى تلك الظروف فإن الأفكار التي عبَّر عنها فجنشتين في الرسالة ستكون أكثر وضوحا لو أننا أخذنا بالاعتبار الظروف التي عاشها منذ التحاقه ب "كمبرج"في أكتوبر 1911، و إلى غاية التحاقه بالحرب في 1914،وفي هذا الصدد يولي اهتمامه إلى تاريخ المنطق و ما شهده من تطورات في الفترة التي امتدت تقريبا من تاريخ نشر "فريج" كتابه "أسس علم الحساب"1874 إلى تاريخ نشر "راسل"و "وايتهد" كتابهما مبادئ الرياضيات 1910. 1913و على هذا فمن دون معرفة مسبقة ببعض أوليات المنطق الأساسية لا يمكننا فهم فلسفة "فجنشتين" المنطقية[1].

لهذا كان أول ما يجب أخذه بعين الاعتبار هو وضع فلسفته في مقابل فلسفتي فريج و راسل و يقول فجنشتين في رسالته: "الفلسفة كلها نقد للغة" [2].

نقطة انطلاق ما سمي بالمنعطف اللغوي في الفلسفة في القرن العشرين فإن هذا المنعطف حدث أولا في حياة فجنشتين الخاصة عام 1911، يذكر أحد الفلاسفة أنه في خريف هذا العام قرر "فجنشتين" عوض العودة إلى مانشستر لإكمال دراسته في هندسة الطيران التي بدأها قبل الذهاب إلى متابعة دروس راسل وقد وقع هذا حسب اعتراف فجنشتين نفسه "لفون رايت" بناءا على نصيحة فريج [3].

كما أن دراسته لكتاب راسل "أصول الرياضيات " الذي نشره في 1903، أثر فيه بعمق و أن هذا الكتاب هو الذي حوَّل اهتمامه أيضا و هكذا ذهب "فون رايت" إلى أن: المنطق الجديد الذي يعد فريج و راسل من أبرز ممثليه ،كان هو الباب الذي دخل منه إلى الفلسفة[4].

لهذا السبب عندما أخذ "فجنشتين" في الحديث عن مصادر فكره ذكر مصدرين : هما أعمال صديقه راسل و المؤلفات العظيمة ل"فريج" و "راسل" هما من أحدث المنعطف اللغوي في حياة "فجنشتين" ، فإنما نشير بذلك إلى دورهما في لفت انتباهه إلى الاهتمام بالمفاهيم المنطقية الأساسية و تحديدا إلى الثوابت المنطقية التي اعتبرها "راسل" في تلك الفترة أشياء ثابتة مثل أعداد "فريج"[5].

لكن هذا التصور الأفلاطوني لأشياء المنطق لم يقتنع به "فجنشتين" لأنه يخفق في تفسير طابع الضرورة في المنطق ، قاصدا بهذا أن تكون قضاياه ضرورية و ذلك لا تعتمد تلك القضايا في صدقها على الواقع و لكي

---

[1] قادري عبد الرحمان : التأسيس الذري المنطقي للحقيقة مساهمة فيجنشتين لودفيج ، رسالة ماجستير تحت إشراف عبد اللاوي محمد، كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية قسم الفلسفة ، جامعة وهران ،2007-2008،ص143.

[2] بلانشي روبير :المنطق و تاريخه من أرسطو إلى راسل، تر ، خليل أحمد خليل ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، 1980، ص424.

[3] حيول محمد : اللغة بين منطق الفلسفة و منطق العلم ، دار النشر و التوزيع ، بيروت ، د(ط)، د(س)، ص210.

[4] إبراهيم زكريا : مشكلة الفلسفة ، دار التوزيع و النشر ، القاهرة ، د(ط)، د(س) ، ص115.

[5] كارناب ردولف : الأسس الفلسفية للفيزياء، المصدر السابق ، ص220.

تكون قضايا المنطق مستقلة عن الواقع يجب أن لا تتمثل في الثوابت المنطقية شيئا في الواقع هذه الفكرة حظيت بأهمية بالغة لدرجة أن "فجنشتين" وصفها بالفكرة الأساسية ، هذا ما يجعلنا نلاحظ أن طبيعة التأثير الذي أحدثته أفكار "فريج" و "راسل" فيما يختص بأسس المنطق إنما تكمن أهميتها الحقيقية في أنها أوجدت لدى "فجنشتين" نقطة الانطلاق نحو الاهتمام بالمشكلات التي تشكل "فلسفة اللغة" هذا ما أكده بقوله : «إن عملي تطور من أسس المنطق إلى ماهية العالم»[1].

إن تأثير تلك الآراء التي قالها "فريج" و "راسل" في طبيعة المنطق إنما يكمن فقط في أنها ولدت لديه موقفا عكسيا و كما يعتقد "بلاك" فيما يختص بطبيعة المنطق "فريج" و "راسل" لم يقولا الشيء الكثير مما يمكن ل"فجنشتين" أن يستخدمه و من جهة أخرى فإن تأثير فريج و راسل في إحداث المنعطف اللغوي عند"فجنشتين" لم يقتصر على أسس المنطق و لكنه تعداه إلى موضوع قدرة اللغة على التعبير عن الفكر الفلسفي .

من خلال هذه الأفكار التي ساهمت في ظهور الوضعية المنطقية و التي جعلت من الرسالة إنجيلا لها كانت مشكلة اللغة من المشكلات الفلسفية و التي حاول معالجتها "فجنشتين" و يقول في هذا الصدد :« إن كثيرا من المشكلات الفلسفية مصدرها سوء فهم منطق اللغة و من ثم لا يمكن حلها إلا بالعودة إلى تصور صحيح لطبيعة اللغة و عملها» و عرَّف "جون سيرل"« فلسفة اللغة بأنها محاولة إعطاء تفسيرات فلسفية لبعض السمات العامة للغة مثل الدلالة، الصدق، المعنى و الضرورة » [2].

بمعنى ضرورة حسن تدبير اللغة بحيث لا نقول إلاَّ ما يجب أن يقال لأن الأفكار التي نفكر فيها بطريقة صحيحة يكفينا كم قليل من مفردات اللغة للتعبير عنها بطريقة واضحة و الرسالة المنطقية توضح أن التعابير التي لا معنى لها تصنف ضمن نصل أوكام أو مبدأ الاقتصاد في الفكر كما يوضح لنا بناء الصورة العامة للقضية على أساس أننا نتحدث في حياتنا اليومية بلغة تحتوي على تنوع كبير في صور العبارات بحسب تنوع أغراضنا من استخدامها، إذ نستخدم الاستفهام و التعجب و التمني و الأمر و النهي ...الخ ، و كل واحدة من هذه الصور تعبر عن حالة مفردة معينة و ليس بينها من رابط غير اللغة التي قيلت فيها ، مما يدل على أنه لا وجود لما يمكن أن نسميه صورة عامة بالمعنى الذي قال به فجنشتين في رسالته ، فالألفاظ التي نستخدمها كثيرا ما تكون فضفاضة و غير دقيقة الشيء الذي يجعلها قاصرة ،تمكننا من التوصل إلى الصورة المنطقية الحقيقية لكل عبارة من عبارات تلك اللغة و النتيجة قاصرة على أن توصلنا إلى ما يمكن اعتباره صورة عامة .

لذا فإن فجنشتين يلجأ إلى المنطق من أجل بناء الصورة العامة و قد وجد فجنشتين في المنطق جهازا من الرموز هذا الجهاز اختار منه فقط ثابتا منطقيا واحدا وصفه بأنه العلامة الأولية الوحيدة و العامة للمنطق، و اتخذه أداة لبناء الصورة العامة للقضية حيث صار هذا الثابت المنطقي الوحيد مطابقا للصورة العامة ذاتها و هذا ما ذهب إليه و هو بصدد التساؤل عن وجود الصورة العامة بقوله : هل توجد صورة عامة للقضية؟[3].

---

[1] بلانشي روبير : المنطق و تاريخه من أرسطو إلى راسل، المرجع السابق، ص422.

[2] إسلام عزمي : بحوث فلسفية، مراجعة و تقديم : عبد الغفار، مطبوعات جامعة الكويت، د(ط)، 1990، ص 18.

[3] بلانشي روبير : المنطق و تاريخه من أرسطو إلى راسل ، المرجع نفسه ، ص425.

حيث أجاب نعم إذا كنا بهذا الثابت المنطقي الوحيد، كما ذهب إلى هذا المعنى في الرسالة بقوله: « يمكننا القول إن الثابت المنطقي هو ما تشترك فيه جميع القضايا بطبيعتها و لكن هذه هي الصورة العامة للقضية» [1].

الثابت المنطقي الذي اعتمده "فجنشتين" هو النفي المتأني الذي صيغته لا "ق" لا "ل"حيث لا تكون الصيغة صادقة إلا إذا كانت كل من "ق"و" ل" كاذبتين[2].

هكذا ندرك أن الثابت المنطقي الوحيد الذي اعتمده فجنشتين و الذي يحدد من خلاله الصورة العامة للقضية لا يعطينا فقط صورة كلية عن اللغة ، و لكنه يعطينا صورة مسبقة عنه و بالمماثلة بين اللغة و العالم فإنه يعطينا صورة مسبقة عن العالم و من هنا نلاحظ مرة أخرى العلاقة القوية بين نظرية فجنشتين في الثوابت المنطقية و موقف من طبيعة اللغة و العالم.

كما نجده قد عالج عدة قضايا منطقية كالذرية المنطقية و كذلك عالج مشكلة ضمان المعنى و الصدق في اللغة ، فاللغة معرَّفة في الرسالة على أنها مجموعة قضايا و هناك القضايا البسيطة أو الأولية و هناك القضايا الأخرى و هذه الأخيرة تنقسم إلى نوعين : قضايا مركبة و قضايا اللغة العادية و كل القضايا ما عدا القضايا الأولية هي قضايا مركبة و لهذا فهي تقبل التحليل أو الرد إلى القضايا الأولية، فلماذا ترد إلى القضايا الأولية ؟[3].

إن الهدف هو توضيح المعنى و الصدق فيها ، فقد رأينا أن فهم المعنى في القضية غير المحللة يحيلنا إلى قضية أخرى و هذه تحيلنا إلى قضية ثالثة و هكذا من دون توقف مادام لا يوجد حد ينتهي عنده التحليل لذلك جعل "فجنشتين" القضية الأولية الحد الذي ينتهي عنده تحليل ذلك النوع من القضايا الغير محللة ، حتى تكون واضحة المعنى ، كما أن إمكانية تحقيق القضايا المحللة يتطلب وجود القضايا الأولية و وجود هذه القضايا يجعل فجنشتين يقر بضرورة إفساح المجال أمام إمكانية التحقيق .

هذه الإمكانية هي السبيل الوحيد لوضع حد للتحليل و هنا نذكر قول فجنشتين : إن قضية معينة يمكنها فعلا أن تحلل إلى قضايا أخرى و هذه الأخيرة من جديد إلى قضايا أخرى من جديد و لكن من أجل الانتهاء يجب أن نصل إلى قضايا بدلا أن تشير إلى قضايا فإنها تشير إلى الواقع [4].

لنصل إذن إلى أن الاهتمام باللغة انطلق من البحث في أسس المنطق خاصة مشكلة الثوابت المنطقية و مشكلة الضرورة المنطقية و كما رأينا أن تلك البداية كانت متأثرة ب"فريج" و "راسل" غير أن ذلك التأثير كان في تحويل اهتماماته إلى تلك المشكلات أكثر منه إفادة بالمعلومة المنطقية في حد ذاتها و لكن يعتني بالمنطق بنفسه و يجب أن يكون نقيا من كل الشوائب و ذلك بأن لا تشير الثوابت المنطقية إلى أي كائن فالفلسفة يجب أن تكون متميزة عن العلم هذا التميز يتحقق فقط عندما تؤسس على المنطق الذي هو العلم الوحيد الذي

---

[1] الفندي محمَّد ثابت : أصول المنطق الرياضي ، دار النهضة العربية ، بيروت، د(ط)، 1976، ص 173.

[2] المرجع نفسه ، ص174.

[3] لودفيج فجنشتين :رسالة منطقية فلسفية ، المرجع السابق، ص 140.

[4] صلاح إسماعيل عبد الحق : التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ، دار التنوير للطباعة و النشر ، لبنان ، ط (1)، 1993 ، ص220.

يتألف من قضايا ضرورية (تحصيل الحاصل و التناقض) لأنها قبلية و مستقلة عن كل تجربة و تكمن أهمية قضايا المنطق بالنسبة للغة في أنها تظهر صفاتها الضرورية من حيث أنها تشكل الحالات القصوى بالنسبة لقضايا تلك اللغة .

بالنسبة ل"راسل" :فقد كان متفقا مع "فريج" في أن اللغة العادية هي مصدرالكثير من الصعوبات لأنها تخفي الصورة المنطقية الحقيقية لعباراتها[1].

لكنه لم يتفق في الطريقة التي تعالج بها تلك الصعوبة حيث رأى راسل أنه من الممكن تفاديها إذا ما استغنينا عن مفهوم المعنى في تحليل العبارات و نعتمد فقط على جانب الدلالة فيها ، و هي النظرية التي عرضها راسل في مقاله المشهور في الدلالة و قد قام فيها بتحليل العبارات الوصفية في اللغة العادية بردها إلى عبارات في اللغة المنطقية من أجل الكشف عن صورتها المنطقية الحقيقية حيث تبين له بعد التحليل أنها عبارة عن ما أسماه برموز ناقصة و هي رموز يقول عنها: « أنها لا تحمل معنى في ذاتها و لكنها تكتسب معنى في سياق معين» [2].

بما أن تلك العبارات ليس لها معنى في ذاتها فإنها لم تعد بحاجة لكي تشير إلى أي شيء في الواقع و من ثم لم تعد مشكلة صدقها أو كذبها مطروحة و من هنا يرفع الحرج الذي انتهى إليه "فريج"هذا من جهة و من جهة أخرى بين التحليل المنطقي أن العبارات الوصفية تختلف عن أسماء الأعلام التي تدل مباشرة على أفراد جزئية و لهذا يكون لها معنى مستقلا عن سائر الألفاظ الأخرى ،و من جعلها راسل أساس اللغة المنطقية التي دعا إليها و لنظريته في الأوصاف نجد أنه تبنى موقفا نقديا من اللغة العادية ،ولم يكن ربط راسل المعنى بالدلالة مقتصرا على الأسماء فقط و لكننا نجده يعمم ذلك الربط ليشمل جميع ألفاظ اللغة ، بما في ذلك الألفاظ الدالة على الثوابت المنطقية التي هي نوع من اللامعرفات و هنا قال راسل: إن مناقشة اللامعرفات ...هي محاولة لكي نرى بوضوح ولكي نجعل غيرنا يرى كذلك بوضوح الأشياء التي نبحثها لعل العقل يظفر بذلك الضرب من الألفة بها كما يألف طعم الأناناس هذا الموقف النقدي[3].

يمكن تلخيصه فيما يلي :

- التفرقة بين المعنى و الدلالة.
- التفريق بين الصورة النحوية للجملة و صورتها المنطقية.
- القضية الذرية التي هي أساس اللغة المنطقية تتألف من ارتباط بأسماء.

هذه الأفكار التي تشكل الموقف النقدي للغة عند "راسل" و تأثر بها "فجنشتين" و انتقد اللغة العادية و عالج أخطائها عن طريق الجهاز الرمزي حيث يرى أنَّ الجهاز الذي استخدمه راسل مثال للغة التي نقترحها ، على الرغم من أنه لم يستطع أن يتفادى كل الأخطاء و كان هدف "راسل" هو ضمان واقعية

---

[1] برتراند راسل : الفلسفة بنظرة علمية ،المرجع السابق ، ص 207.

[2] برتراند راسل: مقدمة للفلسفة الرياضية ، تر :مُحَّد مرسي أحمد ، مراجعة : أحمد فؤاد الأهواني ، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، د(ط)، 1980،ص180.

[3] برتراند راسل : أصول الرياضيات ، الكتاب الأول ، تر : مُحَّد مرسي أحمد ، و أحمد الأهواني ،دار المعارف ،مصر ، ط (1) ، 1964 ، ص127.

المعاني و استقلالها في الذهن في معارضة موقف "برادلي" المثالي الذي يذكر الحقيقية الموضوعية للمعنى و يردها إلى فكرة في الذهن كما تجلى ذلك الموقف الأفلاطوني أيضا في مشكلة الثوابت عند "راسل" في نظريته في "الحد"حيث قال :« كل ما يكون موضوعا للفكر أو ما يرد في أية قضية صادقة أو كاذبة أو كل ما يعد واحدا ،أسميه حدا».

إن الأمر يتعلق هنا إذ بالكلمة الأكثر عموما في النحو الفلسفي لكن راسل بعد أن كان يرى في كتاب أصول الرياضيات أن الثوابت المنطقية أشياء محددة تماما تخلى عن هذا الرأي بعد ذلك حيث أفرغ الثوابت المنطقية من محتواها الانطولوجيي و جعلها ذات طبيعة لغوية حيث قال :« فالثوابت المنطقية ،إذا كان لنا أن نتمكن من ذكر شيء محدد عنها فلا بد من دراستها على أنها جزء من اللغة لا على أنها جزء مما تنبؤنا عنه اللغة»[1].

من الواضح أن رأي راسل الذي يقوم به اعتبار الثوابت المنطقية أشياء واقعية لم يكن مقنعا في نظر فجنشتين و استعمل مفهوم جديد يلتقي في جوانب كثيرة مع ذرية راسل المنطقية و هو دوال[*] الصدق فهي نظرية أسست لمفهوم جديد للغة في الرسالة و هذا المفهوم يصور لنا اللغة على أنها مجموعة قضايا مركبة ، يمكننا فهم معانيها و معرفة قيم صدقها و كذبها فقط عن طريق تحليلها إلى مكوناتها و يقول إن الطريقة الصحيحة لتحليلها هي تلك التي تعاملها كدوال صدق القضايا الأولية فكل قضية يمكن ردها إلى ارتباطات عناصرها و إلى إجراءاتها المنطقية[2].

مما تقدم نستخلص أنه لم يقف إعجاب أصحاب الوضعية المنطقية بأفكار "فجنشتين" و خاصة الرسالة المنطقية عند مدحها، و لكنهم اتخذوا بعض نظرياتها جزءا من برنامج حركتهم و قد أثر "فجنشتين" في المبادئ الأساسية للوضعية المنطقية و التي هي برأيه البحث في أسس العلوم التجريبية و العلوم الصورية و توضيح المشكلات الفلسفية و استبعاد كل القضايا الخالية من المعنى من العلم و الفلسفة على حد سوء قائلا إن "فجنشتين" أفاد في كل واحدا من هذه المبادئ.

---

[1] راسل : أصول الرياضيات، المرجع السابق، ص 89.

[*] الدالة : من المفاهيم التي استفادها المنطق الحديث من الرياضيات ، و دالة القضية ،يعرفها راسل أنها عبارة تحتوي على سكون غير محدد.

[2] عبد الله محمد توم : المنطق و اللغة و الواقع ، دار الأزمنة الحديثة ، ط(1)، 1987، ص42 .

المبحث الثاني

الوضعية المنطقية و نقدها للميتافيزيقا

قبل الحديث عن الوضعية المنطقية و مبادئها لابد من التطرق للخطوط الأساسية التي اجتمع عليها أنصار الوضعية المنطقية حيث رأى هؤلاء أن عملية اكتساب المعرفة لا تتم عن طريق أفكار قبلية موجودة بشكل مسبق بل عن طريق معطيات الخبرة الحسية و إنَّ الواقع و خبرتنا به هو معيار صدق معارفنا و عن طريق الخبرة و التجربة يستطيع الباحث أن يميز بين العبارات ذات المعنى و العبارات الخالية من المعنى ، فالأولى صادرة عن الواقع و لها تعيين فيه و مطابقة له أمَّا الثانية فلا وجود لها إلاَّ في خيال الإنسان و أحلامه و أفكاره الماورائية .

يجب التمييز بين عمل التجربة و عمل العقل عند أنصارها فالتجربة هي مصدر لاكتساب المعرفة العلمية و تسويغ صحتها وعن طريقها و عبر خبرتنا الحسية تقوم بمطابقة القضية مع الواقع و فصل القول العلمي بصدده ، أماَّ العقل فمهمته منطقية بحتةأماً مهمة الفلسفة فتتمثل في توضيح ما يقرره العلم و الفلسفة لا يناط بها وصف ما هو موجود في العالم الواقعي و تفسيره بل يجب أن تقوم بوظيفة التحليل المنطقي لما يقدمه العلم من مفاهيم و نظريات علمية هذه المهمة تجعل منها فلسفة علمية ، أماَّ الحديث عن الماورائيات يتخلل ذلك من أراء فلسفية و شخصية ، فهذا يبقي الفلسفة خارج إطار ما هو ذو معنى[1] .

يقول "لودفيج فجنشتين" :« موضوع الفلسفة هو التوضيح المنطقي للأفكار، فهي ليست نظرية فاعلية لذا فعملها يتكون أساسا من توضيحات و لا تكون نتيجتها عددا من القضايا الفلسفية إنَّما توضيحا للقضايا فالفلسفة يجب أن تعمل على توضيح و تحديد الأفكار بكل دقة و إلا ظلت تلك الأفكار معتمة و مبهمة»[2] .

بعد هذا الحديث عن الخط العام للوضعية المنطقية يمكننا الانتقال للحديث عن خاصية و مبادئ هذه الحركة الفلسفية المعاصرة ، فخاصيتها الأساسية هي أنَّها تعترف بوجود مشكلة منطقية للاستقراء كتلك التي كشف عنها "هيوم" لكنها تعتمد بالقدرة على تخفيف عبئها دون القضاء عليها و تعتمد الطريقة التي اتبعتها في ذلك النظرية العامة في التمييز بين المعارف التركيبية و التحليلية ، حيث أنه لا يوجد هناك قسم أخر للمعرفة سوى ما يخص القضايا الميتافيزيقية التي نصفها بأنها لا معنى لها و القضايا التركيبية ما هي إلاَّ معارف كاشفة عما يوجد في الواقع الموضوعي لذا كانت تخبر بشيء جديد باعتبار أن نتائجها غير منزوعة عن مقدماتها فيقتضي الاستدلال عليها بطرق الاستقراء ، أما القضايا التحليلية فهي معارف لا تخبر عن الواقع بشيء جديد و ذلك لأن نتائجها توجد في مقدماتها أو أن محمولها مأخوذ عن نفس الموضوع و "جون لوك" هو من فَّرق بين هذين النوعين من القضايا ثم اتبعه في ذلك "هيوم"و من بعده " كانط" و أخيرا الوضعية المنطقية و بحسبها أنه لا يمكن استخلاص الدليل الاستقرائي من القضايا التحليلية باعتبارها لا تخبر بشيء جديد طالما أنها تستند إلى مبدأ عدم التناقض الذي يصف الواقع دون أن يضيف لنا معرفة جديدة.

حيث نجد يحي مُحَّد يوضح لنا ما سبق في كتابه الوضعية المنطقية و قضايا المعرفة أنَّ (أ) هي (أ) لا نضيف معرفة حد إلى معرفة الموضوع إذا المحمول هنا يمثل عين الموضوع تماما، كونه يتصف بالضرورة و اليقين[3].

---

[1] هانز رايشنباخ : نشأة الفلسفة العلمية ، تر : فؤاد زكريا ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ، ط(1)، 1979، ص203.

[2] إسلام عزمي: اتجاهات في الفلسفة المعاصرة، وكالة المطبوعات، الكويت، ط(1)، 1980، ص 149.

[3] يحي مُحَّد: الوضعية المنطقية و قضايا المعرفة، دار النشر و التوزيع، بيروت، د(ط)، 2010، ص 93.

استنادا على ما يقول"رايشنباخ"[*] :« أنَّ كل شيء في هويته مع ذاته و أنَّ كل جملة ما صادقة و إما كاذبة بالمعنى المنطقي هي مقدمات لا يتطرق إليها الشك و لكن عيبها أنها بدورة فارغة فهي لا تذكر شيئا عن العالم الفيزيائي دون تسلم بشيء مضمون الوصف ، فهي تتحكم في صورته وحدها أي في لغة وظفت في مبادئ المنطق التحليلي »[1] .

بهذا المنطق اعتبرت الوضعية المنطقية أنَّ القضايا التحليلية لا يمكنها أن تبرر لنا طبيعة الدليل الاستقرائي المعروف بأن نتائجه أعظم من مقدماته و هو علة كونه يقبل التكذيب فقد يأتي يوم نرى فيه فئة تقوم عليها حدود الترجيح ،لا يتحدد بالحرارة فتكشف خطأ التعميم الذي تبناه مبدأ التناقض ، لهذا فإن الوضعية المنطقية حذرة من استخدام التعميمات ، فهي لا تتحدث عن مطلق أفراد القضية الاستقرائية بل تكتفي أن ترى فيها فئة يقيم عليها حدود.

للوضعية المنطقية مبادئ قامت عليها و هي:رفضها للميتافيزيقا، استخدام المنطق و التحليل اللغوي ، وحدة العلم ، تبني مبدأ التحقيق .

1: استخدام المنطق و التحليل اللغوي:

ذهب "كارناب" إلى أن "فجنشتين" كان مخطئا في افتراضه أن القضايا الانطولوجية كانت بغير معنى فهي كانت قضايا ذات معنى بالنسبة للغة وليس بالنسبة للعلم وراء اللغة، وهكذا فليس من الضروري لكي يكون للغة معنى أن تكون عباراتها مما يمكن مقارنته بالواقع الخارجي ولعل هذا الأمر يجعل من مبدأ التحقق الذي أخذ به فلاسفة الوضعية مبدأ قابل للنقاش، إذ هل ينبغي لكي نتحقق من القضية ذات المعنى أن يتم ذلك من خلال المقارنة مع الواقع الخارجي أو معطيات التجربة الحسية، أم أن التحقق يمكن أن يكون أو يتم بمقارنة القضية باللغة التي نتكلم عنها؟.

إن كارناب يعترف بأن القضايا الأنطولوجية هي بلا شك، ذات مظهر تبدو فيه كما لو كانت تتعلق بالعالم أو على الأقل تتصل بالعلاقة بين اللغة وبين العالم إلا أن هذا لا يحدث إلا لأن هذه العبارات قد تمت صياغتها خطأ (بالطريقة المادية) والتساؤل حول ماهية الطريقة المادية يقودنا إلى تمييز كارناب بين ثلاث فئات من العبارات[2] :

(1)عبارات شيئية obgect sentences.

(2) عبارات شبه شيئية pseudo obgect sentenes.

(3) عبارات بنائية syntactical sentences.

---

[*] رايشنباخ هانز : REICHENBACH HANS (1891 . 1953) فيلسوف و عالم منطقي ألماني ، عمل أستاذا في جامعة برلين و عمل على تنظيم جمعية الفلسفة العلمية فيها و التي ساهمت مع جماعة فيينا في قيام الحركة الوضعية.

[1] هانز رايشنباخ : نشأة الفلسفة العلمية ، المرجع السابق ، ص 212.

[2] إسلام عزمي:اتجاهات في الفلسفة المعاصرة، المرجع السابق، ص 137.

فأية عبارة عنده من عبارات الرياضة أو العلوم، هي عبارة شيئية وهكذا فالعبارتان التاليتان مثلا (5 عدد أولي) و (النمور مفترسة)عبارتان شيئيتان أما العبارات البنائية، فهي عبارات تتكلم عن ألفاظ، وعن القواعد التي تحكم استخدام تلك الألفاظ مثل (الخمسة) ليست كلمة شيئية إنما هي لفظ عددي number word ومثل(النمر) كلمة شيئية فالعبارتان السابقتان عبارتان شيئيتان أما العبارات شبه الشيئية فهي عبارات غريبة عن الفلسفة، إذ أنها تبدو شبيهة بالعبارات الشيئية لكي يتضح إذا فهمنا فهما صحيحا، أنها عبارات بنائية أما كيفية فهمها فهما صحيحاذلك بأن نحولها من الأسلوب أو الطريقة المادية material mode إلى الطريقة الصورية formal mode أي بأن نحولها من قضايا تبدو كما لو كانت تتكلم عن موضوعات إلى قضايا تكون من الواضح أنها تتكلم عن ألفاظ مثل (الخمسة ليست شيئا، بل هي عدد) ومثل (النمور أشياء) و في حال ما يتم تحويل تلك القضايا من (الحالة المادية) إلى (الحالة الصورية) لمناظرة (أو الحالة البنائية) فإنها يمكن من هذه الحالة مناقشتها لأن القضايا، في الحالة المادية تكون غير قابلة للمناقشة undiscussable أما كيف يمكن حل المناقشات البنائية أو المتعلقة ببنية اللغة أو العبارة.

لقد جمع كارناب في كتابه (البناء المنطقي للغة) عام 1934 أرائه التي تتعلق بالمنطق والرياضة وفلسفة العلم على نحو غني بالتفاصيل وقد عرَّف علم البناء: « بأنه دراسة الكيفية التي يتم فيها ربط العلاقات في لغة من اللغات بعضها ببعض بفضل خصائصها البنائية المحضة» [1] .

ذهب "كارناب" إلى أن قوانين المنطق والرياضة لا تدلي بخبر عن أي موضوع فهي ليست سوى بناءات منطقية تستمد ضرورتها القبلية بأكملها من نطاق اللغة التي ترد فيها من القواعد البنائية التي استقرت بحكم العرف والتي تضبط استخدام هذه اللغة وقد أعلن بالإضافة إلى ذلك أن مصدر الخلافات الفلسفية عادة هو الخلط بين العبارات (شبه الشيئية) كزعمنا أن الزمان يمتد إلى مالا نهاية في الاتجاهين هذا الزعم الذي عده مرادفا لعبارة بنائية تقال عن العلامات اللغوية وهي أن أي رمز دال على عدد حقيقي موجب أو عدد حقيقي سالب يمكن أن يستخدم بوصفه إحداثيا زمانيا قول أن مصدر الخلافات الفلسفية هو الخلط بين العبارات (شبه الشيئية) والعبارات (الشيئية) الحقيقة التي تقال عن موضوع يقع خارج نطاق اللغة[2].

من هنا نستنتج أننا ينبغي أن نعد الفلسفة دراسة للبناء المنطقي للغة العلم، وكان من جراء هذه التسوية فيما يبدو أن كارناب عدَّ أي بحث للعلاقات القائمة بين العلامات اللغوية وما جاءت تلك العلامات لتمثله بحثا غير مشروع وأن الحكم بالبطلان بصفة خاصة على كل تحليل لما عساه أن يكون مقصودا بالحقيقة المطابقة للواقع أنه من الممكن كما اتضح ذلك بفضل دراسات "ألفرد تارسكي"أن تطور نظرية دقيقة من الدلالة اللغوية.

---

[1] هويدى يحي : فلسفة الوضعية المنطقية في ميزان ، مطبوعات السنة المحمدية ،د(ط)، د(س) ،ص159.

[2] الحاج حسن وداد : ردولف كارناب نهاية الوضعية المنطقية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،ط(1)، 2001، ص31.

2 - إمكانية التحقق أو قابلية التحقيق verifiability:

يعتمد فلاسفة الوضعية الجديدة، بل وغيرهم كذلك من الفلاسفة المعاصرين على مبدأ إمكان التحقق أو القابلية للتحقق التفرقة بين ماله معنى من العبارات وبين ما لا معنى له، الأمر الذي أدى إلى كثير من الصعوبات بالنسبة لهم وعادة ما يرد هذا المبدأ بمعناه المعاصر إلى الفيلسوف النمساوي "لودفيج فجنشتين" فقد نسبت جماعة فيينا لفجنشتين هذا المبدأ ومؤاده :أن معنى القضية مطابق لطريقة تحقيقها أي أن القضية تعني مجموعة من الخبرات أو التجارب التي تكون مجموعها معادلة أو مكافئة لكون القضية قضية صادقة[1].

لكن لو نظرنا إلى المبدأ نفسه هل يكون هو نفسه عبارة صادقة أو حتى عبارة ذات معنى، ومما لاشك فيه أن هذا المبدأ ليس قضية علمية لأن القول بأن (معنى القضية هو طريقة تحقيقها) ليس قضية علمية ومن ثم فلا يمكن تحقيقها وبالتالي يكون المبدأ نفسه خاليا من المعنى ومن ثم فلا يمكن استخدامه معيارا للصدق أو للتفرقة بين ماله معنى من العبارات وما لا معنى له، إذن هل يمكن رفض هذا القول أو المبدأ بوصفه خاليا من المعنى أو مجرد لغو؟ وللإجابة عن ذلك نقول : لقد أدى هذا الاعتراض، أو هذه الصعوبة إلى أمرين :

أولا: الرد بأننا لا نستطيع أن نطبق المبدأ على نفسه، فالمبدأ الواحد لا يكون برهانا على تكذيب نفسه وعلى ذلك فإن كان من ينقدون مبدأ التحقق على أساس(أن معنى القضية هو طريقة تحقيقها) وأنه هو نفسه قضية غير قابلة للتحقيق إذن فهو بلا معنى ومن ثم لا ينفي أن يكون معيارا لغيره من القضايا فمن الواضح أن هذا النقد قائم على مغالطة منطقية لأنه هو نفسه ليس بالعبارة التجريبية أو العلمية التي ينبغي أن يطبق عليها هذا المبدأ بل هو عبارة تتكلم عن العبارات العلمية وحتى يكون لها معنى ومن الواضح إذن أن المبدأ عبارة تتكلم عن قضايا أو عبارات ليس هو واحد منها، ومن ثم لا ينطبق عليها وإلا وقعنا في مشكلة[2] .

ثانيا : يذهب الوضعيون إلى القول بأن هذا المبدأ – أي مبدأ التحقيق – ينبغي أن لا يقرأ على أنه عبارة بل على أنه افتراض أو اقتراح أو توصية مؤداها أن القضايا ينبغي ألا يتم قبولها، على أنها ذات معنى ما لم تكن قابلة للتحقيق وهنا يرد اعتراض مؤداه أن النتيجة السابقة لم تكن نتيجة سهلة لأن الوضعيون كانوا قد شاركوا في رفض الميتافيزيقا والآن يبدو أن الفيلسوف الميتافيزيقي يستطيع أن يتخلص من نقدهم بكل بساطة عن طريق رفضه اقتراحهم أو توصيتهم[3].

وهنا يقترح كارناب ردا على هذه الصعوبة : أن نعتبر مبدأ القابلية للتحقق بمثابة (التفسير) أو الإسهام في (إعادة البناء العقلي) الخاص بتصورات ومفاهيم مثل : الميتافيزيقا، والعلم، والمعنى لكي يتم تبريرها على أسس شبه براجماتية بمعنى أننا إذا كنا لا ننسب المعنى إلا لما يكون قابلا للتحقيق فسيكون في مستطاعنا أن نميز بين صور النشاط الذي لولا هذا التمييز لظلت صورة مختلطة بعضها مع بعض، ولكن ليس من الواضح ما هي الطريقة التي يمكن أن يستخدم بها مبدأ إمكان التحقق ضد الفيلسوف الميتافيزيقي الذي يجعل نقطة البدء في تفكيره أن

---

[1] زكريا ابراهيم : مشكلة الفلسفة ، المرجع السابق، ص 115.

[2] نفادي السيد : معيار الصدق و المعنى مبدأ التحقيق عند الوضعية المنطقية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، د(ط)، 1991 ، ص15.

[3] المرجع نفسه ،ص16.

قضاياه ذات معنى بشكل واضح و أن أقصى ما يمكن قوله في هذا الصدد هو أن المسؤولية إنما تلقى على الميتافيزيقي لكي يميز قضاياه عن قضايا أخرى غيرها، وقد يعترف بأنها خالية من المعنى [1].

وهناك اعتراض آخر يرد في أثناء الحديث عن مبدأ التحقق يقول فيه أن هناك مشكلات أخرى تتعلق بطبيعة الكيانات التي يطلق عليها مبدأ التحقق فطالما أن القضية هي ما يتم تعريفها وتحديدها بطريقة عادية بوصفها (ما يمكن أن يكون صادقا أو كاذبا) فإنه قد يكون شيئا غريبا أن نقول أن القضية يمكن أن تكون خالية من المعنى كمجموعة من الألفاظ يمكن تحقيقها حتى ولو لم يكن هناك شك في كونها خالية من المعنى وفي مجال الرد على الاعتراض السابق يقال : أن ما يمكن أن يكون صادقا أو كاذبا ليس هو العبارة اللفظية إنما المعنى الذي يفهم من العبارة أي القضية[2].

فنحن لا نقول أن القضية خالية من المعنى لأن القضية هي المعنى الذي يفهم من العبارة اللفظية وهكذا فما يمكن أن يكون له معنى أو أن يكون خاليا من المعنى هو العبارة وليس القضية، أما القضية فهي التي تقبل التحقق، وهكذا فنحن لا نستطيع أن ندخل في اعتبارنا ما إذا كانت العبارة غير قابلة للتحقيق إلا بعد أن نكون قد طرحنا السؤال الخاص بمعنى (الجملة المستخدمة) في تكوين العبارة وكأن تحقيق العبارة في هذه الحالة إنما يتم من خلال تحقيق معناها أي القضية التي تفهم منها وهنا يرد اعتراض مؤداه : أنه هل صحيح حقا أن مبدأ إمكان التحقيق يستبعد عبارات الميتافيزيقا لدى الوضعيون المناطقة ويبقي على عبارات العلم فقط؟

إن الوضعيين أنفسهم كانوا أكثر اهتماما بالحقيقة التي مؤداها أن مبدأ إمكان التحقيق لا يهدد الميتافيزيقا فقط بل كذلك العلم نفسه بينما كان "أرنست ماخ" سعيدا لمحاولته إفراغ العلوم من العناصر الميتافيزيقية التي تشوبها فإن الوضعيون الجدد عادة ما يقبلون على سبيل التسليم الصدق الأساس للعلم المعاصر ومن ثم أصبح الأمر كبير الأهمية بالنسبة لهم حينما أصبح واضحا أن مبدأ قابلية التحقيق يمكن أن يطبق بالنسبة لجميع القوانين العلمية فيخرجها أو يستبعدها بوصفها مجرد لغو أو بوصفها خالية من المعنى لماذا ؟.

هذه القوانين هي بطبيعة الحال ليست مما يمكن تحقيقه تحقيقا كاملا فعليا فلا توجد مجموعة من الخبرات أو التجارب بحيث يكون الحصول على تلك التجارب أو الخبرات مكافئا أو معادلا لا لصدق القانون العلمي طالما أن القوانين العلمية هي تعميمات وطالما أنه من المستحيل عمليا التحقيق بالنسبة لكل حالة من الحالات غير المحددة التي ينطبق عليها التعميم أو القانون العلمي[3].

في مجال الرد على الاعتراض السابق نقول أن اقتراح "موريس شليك" متبعا في هذا الرأي "فرانك " أن القوانين ينبغي اعتبارها لا على أنها عبارات مفردة بل أنها قواعد تسمح لنا بالانتقال من عبارات مفردة إلى عبارة مفردة أخرى،أي أن القوانين مجرد ترخيصات للاستدلال.

---

[1] زيدان محمود فهمي : في فلسفة اللغة ،دار النهضة العربية ، د(ط)، 1985، ص152.

[2] نفادي السيد : معيار الصدق و المعنى مبدأ التحقيق عند الوضعية المنطقية ،دار المعرفة الجامعية ،د(ط) ،1991، ص116

[3] المرجع نفسه، ص 117.

لقد اعترض كل من "نويراث" و "كارناب "على ذلك بناءا على أن القوانين العلمية إنما تستخدم في العلوم بوصفها عبارات لا بوصفها قواعد ومن الواضح أن الكلام يصبح بلا معنى حين نتكلم عن تكذيب القاعدة لأن القاعدة لا تكذب إلاّ ما كانت قاعدة إن الاعتراض السابق لا ينصرف إلى القوانين أو التعميمات العلمية بل ينسحب كذلك بالنسبة للعبارة المفردة العادية طالما أن القوانين أو التعميمات العلمية تقبل التحليل على عبارات مفردة كل واحدة منها تتناول موضوعا مفردا مما ينطبق عليه التعميم العلمي، ولقد أوضح كارناب في مجال دفاعه السابق أن العبارات المفردة العادية هي موضوع أو مكانة مماثلة لموضع أو مكانة قوانين الطبيعة منتهيا إلى أن القوانين العلمية الطبيعية هي عبارات وليس مجرد قواعد[1] .

لكن إن كان ذلك كذلك فحتى في حالة العبارات المفردة العادية هل يمكن تحقيقها تحقيقا كاملا، أم أنه لا توجد كذلك مجموعة الخبرات أو التجارب التي تستوفي جميع جوانب الشيء موضوع العبارة المفردة المراد تحقيقها.

لكن هذه الأسباب وغيرها من الأسباب المناظرة بدأ بالتدريج إحلال تصور القابلية للإثبات أو إمكان الإثبات أو حتى التصور الأقوى القابلية للاختبار أو إمكان الاختبار بدلا من القابلية للتحقق أو إمكان التحقق.

هكذا فبينما كان معنى القضية في البداية متفقا أو متطابقا مع الخبرات أو التجارب التي ينبغي علينا الحصول عليها لكي نعرف أن القضية صادقة فإن هذا المعنى قد تم إنقاذه إلى تعبير أضعف مؤداه أن القضية لا يكون لها معنى إلا إذا كان من الممكن إثباتها أي إذا كان من الممكن أن تشتق أو تستنتج من قضايا صادقة[2].

كان "كارناب" على استعداد لأن يقبل القول بأن اللغة ينبغي إقامتها على نحو لا يكون فيها ماله معنى إلا القضايا الممكنة التحقيق وهو كان مقتنعا بأن يوضح أن مثل هذه اللغة قد تكون أقل فائدة أو نفعا للعلم من اللغة التي تقبل إقامة قوانين عامة ومن الملاحظ أن أغلب الوضعيين الجدد بناءا على اهتمامهم بالبنية الفعلية للعلم قد استبدلوا بكل بساطة مبدأ إمكان التحقق بمبدأ إمكان الإثبات، أما إذا كان مبدأ (إمكان الإثبات) يمكن الاعتماد عليه كمبدأ للتمييز بين العبارات الميتافيزيقية بوصفها خالية من المعنى والعبارات العلمية بوصفها ذات معنى فهذا الأمر لا يزال موضع خلاف بين الوضعيين الجدد أنفسهم حتى الآن وحول مصدر الأفكار المزيفة يرى "كارناب" أن لكل كلمة في الأصل مدلولا ولكن بعض هذه الكلمات يتغير مدلولها أثناء التطور التاريخي وبعضها الآخر يفقد مدلوله القديم من دون أن يكتسب آخر جديدا فينتج استخدامها في الجمل أفكارا مزيفة.

---

[1] ردولف كارناب الأسس الفلسفية للفيزياء ، تر: السيد نفادي ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة، د(ط)، د(س)، ص 125.

[2] رشيد الحاج صالح : النظرية المنطقية عند ردولف كارناب ، دار الهيئة العامة ، دمشق ، د(ط) ،2008 ، ص479.

أما الشروط الواجب توفرها في الكلمة لتكون ذات مدلول فهي في رأي "كارناب" **أولا** أن يثبت نحو الكلمة أي طريقة ورودها في أبسط صورة لجملة مثلا أبسط صورة لجملة ترد فيها كلمة حجر هو (س هو حجر) بحيث يمكن استبدال (س) بشيء مثل الألماس (الذهن).

ثانيا : يجب أن يكون من الممكن تقديم جواب السؤال بخصوص الجملة (ج)التي تتضمن الكلمة موضع البحث، ويمكن صياغة هذا السؤال بطرق عديدة مثل ما هي الجمل التي تستنبط منها (ج) أو في أي ظروف يفترض أن تكون (ج) صادقة وفي أي ظرف يفترض أن تكون كاذبة[1].

بكلام آخر لتقدير ما إذا كان للكلمة مدلول أم لا يجب تطبيق مبدأ القابلية للتصديق وهو المبدأ الذي ينص على أن مدلول جملة ما يتحدد بشروط تصديقها أي وجدت ظروف ممكنة وليس بالضرورة فعلية تحدد صدق الجملة[(2)].

وبتأثير أبحاث كارل بوبر، سعى كارناب إلى تصحيح فهم تركيب المعرفة التجريبية وفي هذا السبيل حاول وضع تصور جديد لمعيار المعنى التجريبي أكثر تساهلا من النظرية الأصلية في اقتضاء إمكان تحقيق معنى القضايا تجريبيا[(3)].

ووضع قواعد لهذا التصور الجديد تتلخص فيما يلي :

(1) كل الأقوال التركيبية يجب أن تكون قابلة للتحقيق تحقيقا تاما وهذا مبدأ التحقيق التام.

(2) كل الأقوال التركيبية يجب أن تكون قابلة للتأييد تأييدا تاما وهذا مبدأ التأييد التام.

(3) كل القضايا التركيبية يجب أن تكون قابلة للتحقيق وهذا هو مبدأ التحقيق.

(4) كل القضايا التركيبية يجب أن تكون قابلة للتأييد وهذا هو مبدأ التأييد.

وفي كل هذه الأحوال يجب أن تكون الصفات متعلقة بما هو قابل للملاحظة.

[(1)] ردولف كارناب : الأسس الفلسفية للفيزياء، المصدر السابق، ص229.

[(2)] بهاء درويش : ألفرد جولس آير في الوضعية المنطقية ، منشأة المعارف ، د(ط) ، 2001، ص52.

[(3)] ردولف كارناب : الأسس الفلسفية للفيزياء ، المصدر نفسه ، ص230.

3 - توحيد العلم unification of scienc:

إذا كان الوضعيون الجدد يتفقون على رفض الميتافيزيقا التقليدية فإنهم يتفقون كذلك على أن اللغة العلمية الواضحة وضوحا كاملا أمر ممكن وحيث أن جميع العلماء كانوا مهتمين بنفس الوقائع الأساسية فقد استقر في رأي هؤلاء الفلاسفة أنه من الممكن تحقيق وحدة لكل العلوم بواسطة تلك اللغة والعلوم التي حققت في نظرهم تقدما كبيرا في هذا السبيل هي الرياضيات والعلم الطبيعي إلا أنهم قد وجهوا انتباههم كذلك إلى العلوم الأخرى وكان نويراث مهتما خاصا بعلم الاجتماع، ولقد طبق الاتجاه نفسه خلال المرحلة الأخيرة من تطور الفلسفة الوضعية الجديدة في انجلترا وأمريكا بالنسبة لعلوم متعددة مثل البيولوجيا وعلم الحياة وعلم النفس وفقه اللغة وغيرها.

لقد كان توحيد العلم يمثل أحد الاهتمامات الأساسية عند الوضعيين متأثرين في هذا بأرنست ماخ خاصة عن طريق رفض النظرة القائلة بأن علم النفس يتناول (عالما باطنيا) يختلف عن العالم الخارجي الذي يتناوله العلم الفيزيائي بالبحث[1].

هم بهذا يقبلون المبدأ القائل بأن كلا من العلمين : الفيزياء وعلم النفس إنما يصف خبرات أو تجارب الأمر الذي يجعل من هذا التوحيد أمرا ممكننا و قد حاول كارناب أن يوضح بالتفصيل في كتاباته المبكرة كيف أن العالم يمكن بناؤه من التجربة أو الخبرة وذلك على أساس من علاقات التماثل التي تربط بين أنحائه[2].

بل لعل أكثر من اهتم بتوضيح فكرة توحيد العلم من بين الوضعيين الجدد كان رودلف كارناب، ذلك عن طريق التحليل المنطقي فقد ذهب كارناب يميز بين المنطق التطبيقي والتحليل المنطقي للمفاهيم والقضايا المتعلقة بفروع العلم المختلفة وبين المنطق الخالص وما يتعلق به من مشكلات صورية، كما يرى أن تحليل مفاهيم العلم بغض النظر عمَّا إذا كانت تتعلق بالعلوم الطبيعية تبعا للتصنيف المألوف لها أو بعلم النفس أو بالعلوم الاجتماعية إنما ترتد إلى أسس مشتركة إذ يمكن ردها إلى أفكارا أساسية تتعلق بالمعطى الحسي كما أن جميع الأفكار الخاصة بالعلوم الطبيعية يمكن ردها إلى أفكار تتعلق بخبرة الإنسان الذاتية لأن كل ظاهرة طبيعية هي من حيث المبدأ مما يمكن إثباتها بواسطة الإدراكات الحسية وجميع أفكارنا المتعلقة بعقول الآخرين أي تلك الأفكار المتعلقة بالعمليات النفسية الخاصة بذوات آخرين غير ذات الشخص نفسه تتكون جميعها من أفكار طبيعية[3].

أخيرا نجد أن أفكارنا الخاصة بالعلوم الطبيعية إنما ترتد إلى أفكارنا عن الأنواع سالفة الذكر، وهكذا تنتج الأنساب الخاصة بالأفكار من كل فكرة من الأفكار يتحدد موضعها في تسلسل هذه الأفكار بناءا على الطريقة التي يتم استنتاجها من أفكار أخرى ومن المعطى الخبري أو الحسي كنهاية للتسلسل والنظرية التركيبية أي النظرية الخاصة بإقامة نسق واحد لجميع الأفكار العلمية على أساس واحد مشترك وتوضح علاوة على ذلك بطريقة مقارنة إن كل عبارة من عبارات العلم يمكن ترجمتها إلى عبارة تتحدث عما يقع في خبرة الوضعية المنهجية.

---

[1] زيدان محمود فهمي: في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، د (ط)،1985، ص123.

[2] إسلام عزمي: اتجاهات في الفلسفة المعاصرة، المرجع السابق، ص 144.

[3] المرجع نفسه، ص 145.

هناك نسق تركيبي ثاني يحتوي بالمثل على جميع الأفكار التي تكون الأفكار الطبيعية أساسا لها،أي تلك الأفكار التي تتعلق بالحادثات الموجودة في زمان وفي مكان كما ترتد الأفكار الخاصة بعلم النفس وبالعلوم الاجتماعية إلى أفكار طبيعية بناءا على مبدأ السلوكية (المنهجية المادية) والتكلم عن الوضعية المنهجية أو عن المادية المنهجية يعني أنه يركز اهتمامه على المناهج الخاصة باستنتاج الأفكار فقط مع استبعاد كل من المبحث الميتافيزيقي في الفلسفة الوضعية الذي يتناول الواقع الخارجي وكذا المعطى الخبري والبحث الميتافيزيقي في الفلسفة المادية الذي يتناول طبيعة العالم الخارج ينتج عن ذلك أن النسقين التركيبين : المادي والوضعي لا يتناقضان فكل منهما صحيح ولا غنى عنه فالنسق الوضعي يقابل وجهة النظر المعرفية لأنه يبرهن على صدق المعرفة برده إلى ما يقع في الخبرة والنسق المادي يقابل وجهة نظر العلوم التجريبية لان جميع الأفكار في هذا النسق ترتد إلى ما هو طبيعي، أي إلى الميدان الوحيد الذي يعرض القاعدة الكاملة الخاصة بفكرة القانون العلمي والذي يجعل من المعرفة الذاتية أمرا ممكنا[1].

هكذا ينتهي بنا التحليل المنطقي بمساعدة المنطق الحديث إلى العلم الموحد فلا وجود لعلوم مختلفة ذات مناهج متباينة أساسيا و لا وجود لمصادر متعددة مختلفة للمعرفة، بل هناك علم واحد فقط فجميع المعارف تجد لها مكانا في هذا العالم، والمعرفة في حقيقتها ذات نوع واحد وما المظهر الخارجي للخلافات الأساسية بين العلوم، إلا نتيجة مضللة لاستخدامنا لغات فرعية للتعبير عن هذه العلوم.

لقد رأى كارناب أن مهمة الفلسفة تقوم على إرجاع كل معرفة إلى أساس يقيني وبما أن المعرفة الأكثر يقينا هي تلك المتعلقة بالمعطى المباشر، بينما معرفة الأشياء المادية هي معرفة مشتقة وأقل يقينا لذا على الفيلسوف استخدام لغة تستعمل المعطيات الحسية كأساس لهذا الاعتقاد يلزم عن مساواة مدلول حكم ما بمنهج تصديقه ففي نهاية الأمر يتم تصديق الأحكام فقط من خلال خبرة الشخص المدرك.

ويرى نويراث أن لغة العلم تتألف من مجموعة من الجمل الواقعية وهذه تقسم إلى (أ) جمل بروتوكولية مثل (أوتو يرى الآن وردا أحمر على الطاولة) (ب) جمل غير بروتوكولية مثل (يوجد ورد أحمر على الطاولة).

الجمل البروتوكولية هي جمل وقائعية لها صورة باقي الجمل باستثناء تضمنها اسم شخصي يرد فيها عدة مرات، ذلك بترابط خاص مع حدود أخرى ولقد اعتقد كارناب أنه يجب بناء سستام غير متناقض من الجمل البروتوكولية ومن ضمنها القوانين بحيث تقارب أي جملة جديدة تعرض علينا بالسستام الموجود، فإذا تعارضت معه يتم استبعادها، وإذا لم تتعارض يجب قبولها بشرط أن يبقى السستام متناسقا بعد إضافة الجملة الجديدة [2].

لقد اهتم كارناب قبل دخوله حلقة فيينا بإعادة بناء مفاهيم كل حقول المعرفة بناءا على أساس مفاهيم تحيل إلى المعطى المباشر ورأى أن المهمة الأساسية للفلسفة تقوم على توضيح هذه المفاهيم، وذلك بإدراجها ضمن سستام مفاهيمي بنَّاء يبدأ من المفاهيم الأساسية للخبرة المباشرة وذلك لكي تصبح كل المفاهيم المستخدمة في العلوم المختلفة عناصر من بنية واحدة والهدف هو بناء العلم الموحد.

---

[1] إسلام عزمي : اتجاهات في الفلسفة المعاصرة ، المرجع السابق ، ص146.

[2] الحاج حسن وداد : نهاية الوضعية المنطقية، ردولف كارناب، المرجع السابق، ص146.

لضمان موضوعية هذا العلم أكد كارناب على وجوب التعامل مع وصف الشيء الصوري للموضوعات فقط من دون الإحالة إلى هذه الموضوعات بالذات واعتبر هذه البنى الصورية فقط البداية لجملة سستام العلم الموحد أما تسلسل مفاهيم الموضوعات داخل السستام فلا يستند فقط إلى العلاقات المنطقية فيما بينها بل يمكن إرجاع أحدها إلى الآخر أي إلى نسقها من حيث الأسبقية الإبستيمية وعلى هذا الأساس تتسلسل الموضوعات في السستام البنائي على الشكل التالي : النفسية الذاتية (أساس السستام) الفيزيائية، النفسية، الثقافية....ولضمان النقاوة المفاهمية لمثل هذا النظام، أكد كارناب على ضرورة استخدام لغة المنطق الرمزي كلغة أساسية للتعبير عن محتوى السستام الذي يعتمد على الاكتشافات المادية للعلوم أما فائدة هذا السستام على المستوى الفلسفي فتتلخص من تمكيننا من توضيح المشكلات الفلسفية كمشكلة بين المفاهيم الفردية والعامة ومشكلة الماهية وغيرها[1].

لكن كارناب ما لبث أن تخلى عن اعتماد الظاهرية كأساس للعلم الموحد وذلك بعد انضمامه إلى حلقة فيينا وحضوره مناقشاتها فطوَّر أفكاره لتتماشى مع طريقة التفكير التي ميزَّت حلقة فيينا والتي ترى أن الفيزيائية وليس الظاهرية هو الأساس المناسب لضمان وحدة العلم، ففي رأي أعضاء الحلقة وخاصة نويراث تضمن اللغة الفيزيائية للعلم المتقدم عدم تسرب أي عناصر ميتافيزيقية إلى العلم الموحد وقد اعتمد كارناب هذا الرأي وأكد في الوقت نفسه على أن ما يهم هو الإمكان المبدئي لترجمة كل جمل العلوم إلى اللغة الفيزيائية وليس الترجمة الفعلية الكاملة التي عدها مشكلة عملية لاتهم الفيلسوف الابستمولوجي، ولكن التحول إلى اعتماد الفيزيائية لم يضمن لكارناب تحقيق مطلب وحدة العلم، وحقق الأساس الفيزيائي نفسه كأساس للعلم الموحد إن كان كارناب قد تبنى الفيزيائية بدلا من الظاهرية على أساس أن اللغة الفيزيائية مألوفة وغير إشكالية وتلبي الاهتمامات العملية للقول العلمي.

غير أنَّ غودمان بيَّن أنَّ الأمر لا يكون كذلك إلاَّ عندما نبقى في دائرة التحاجج حول الأسس وليس عندما نبدأ فعلا ببناء السستام الفيزيائي حيث لا نعود في دائرة المألوف ولذا لن تلبي اللغة الفيزيائية الحاجة العملية للعلوم[2].

وبتبيان اهتزاز الأساس الذي يقوم عليه إمكان العلم الموحد، يكون "غودمان" قد بين تهافت مبدأ أساسي من مبادئ الوضعية المنطقية من جهة أخرى أحيا غودمان فكرة الفلسفة وفكرة تعددية العوالم هي بمثابة خرائط للخبرة وليس نسخا عنها، وأن العمل الفلسفي الصحيح هو بناء أنظمة وليس المجادلة حول إمكانها وأساسها وهذا ما وافق عليه كارناب في المرحلة المتأخرة من تطوره الفلسفي متخليا بذلك عن مبدأ آخر من مبادئ الوضعية المنطقية وهو المبدأ الذي حدد مهمة الفلسفة بتحليل مفاهيم العلم تحليلا يقتصر على الاشتغال بنحو لغة العلم الأمر الذي كان يتضمن استبعاد الميتافيزيقا من دائرة القول الفلسفي العلمي[3] .

---

[1] الحاج حسن وداد :نهاية الوضعية المنطقية، ردولف كارناب ، المرجع السابق، ص150.

[2] ردولف كارناب :الأسس الفلسفية للفيزياء ، المصدر السابق، ص251.

[3] توفيق الطويل : أسس الفلسفة ،دار النهضة العربية ، ط(4)، 1964، ص184.

كان "أوتو نويراث" قد تبنى بالإضافة إلى الفلسفة الطبيعية مبدأ وحدة العلم ومؤداه أن جميع العلوم التجريبية هي في أساسها علم واحد وأن التقسيم إلى فروع هو أمر عملي محض في الطبيعة ولقد كان هذا المبدأ موجها أساسا ضد التفرقة الحادة بين العلم الطبيعي والعلوم الاجتماعية والإنسانية فقد كان "نويراث" يعتقد أن مثل هذا التمييز يمنع ويعوق تطبيق المناهج العلمية بالنسبة للعلوم الاجتماعية والإنسانية بصفة عامة.

لقد أيَّد كارناب هذا المبدأ في صورة بحث مؤداه أن جملة لغة العلم يمكن إقامتها على أساس فيزيائي ولقد قدَّم كارناب هذا الموقف وتطبيقه بالنسبة إلى علم النفس في مقالتين منشورتين عام 1932 الأولى بعنوان (اللغة الطبيعية بوصفها اللغة الكلية للعلم) وقد ترجم إلى اللغة الانكليزية بعنوان:

(وحدة العلم the unity of science) والثانية بعنوان (علم النفس باللغة الفيزيائية وترجم إلى اللغة الانجليزية بعنوان psychology in physical language)[1]

يذكر عبد الرحمن بدوي عن وحدة العلم ما يلي : اهتمت دائرة فيينا بفكرة وحدة العلم، وفي سبيل ذلك طالبت بلغة موحدة بها يمكن التعبير عن كل قضية علمية ولغة كهذه لابد لها أن تحقق شرطين : إذ ينبغي أولا أن تكون لغة بين الأفراد أي لغة ميسورة لكل إنسان وعلاماتها تدل على نفس المعنى عند الجميع وينبغي ثانيا أن تكون لغة عالمية يمكن بها التعبير عن أي موضوع نشاؤه[2].

مما سبق يتضح لنا أنَّ نويراث وكارناب يرون أن لغة الفيزياء هي التي يتوافر فيها هذان الشرطان، ومن هنا سمي مذهبهما بالفيزيائية ولما كانت اللغة الفيزيائية لغة كمية محضة، لا يستعمل فيها إلا التصورات القياسية فإن كارناب ضعف النظرية الفيزيائية فيما بعد بحيث جعل المسألة مسألة لغة أشياء أو لغة عالم الأجسام تحتوي على تصورات كيفية إلى جانب التصورات الكمية، بشرط أن تتعلق بخواص الأشياء مشاهدة أو علاقات قابلة للمشاهدة قائمة بين الأشياء و لذلك حين يشار إلى النظرية الفيزيائية فإنه يقصد بها هذا المعنى المخفف الأخير على كل حال فإن الفيزيائية تطالب فقط بأن تكون الصفات الأساسية للغة العلم الموحد لكن لا يقصد من هذا أيضا القول بأن كل قانونية ينبغي أن تكون قابلة للرد إلى قوانين فيزيائية أما أن (لغة الأشياء) هي الشرط الأول للتفاهم بين الناس فهذا أمر، لا يحتاج إلى فضل بيان ويشير هنا كارناب إلى أننا هنا لسنا بحاجة إلى ضرورة منطقية بل إلى حالة تجريبية سعيدة : فإن اختلاف الرأي بين الأشخاص المختلفين فيما يتعلق بدرجة الحرارة و الأطوال و ترددات السرعة، يمكن من حيث المبدأ تلاقيها داخل نطاق حدود الدقة الممكن بلوغها و الأمر نفسه يصدق على الأقوال غير الكمية التي تنطق بها لغة الأشياء، إذ يمكن دائما من حيث المبدأ الوصول إلى اتفاق بين مختلف الأشخاص في الأقوال المتعلقة بأحوال وأحداث العالم الفيزيائي، أما القضية المتعلقة بتجارب حية ذاتية فلا تملك غير معنى ذاتي (مونولوجي) أي أن لها معنى بالنسبة إلى صاحبها فقط وليس بالنسبة إلى شخص آخر غيره ولهذا فإن مثل هذه القضايا لا محل لها في العلم.

---

[1] ماهر عبد القادر :فلسفة العلوم قراءة عربية سلسلة قضايا الفكر المعاصر ، دار النهضة العربية ، بيروت ،ط (1) ،1997 ، ص104.

[2] بدوي عبد الرحمان : مدخل جديد إلى الفلسفة ، وكالة المطبوعات ، الكويت، ط(2)، 1979، ص 195.

المبحث الثالث

رودولف كارناب و استبعاده للميتافيزيقا

قبل الحديث عن دور كارناب في حذف و استبعاد الميتافيزيقا لابد من تعريف لهذا الفيلسوف و ذكر أهم المحطات العلمية له ، هو ردولف كارناب ولد سنة 1891، في رونز دورف بالقرب من بارمن بألمانيا ، حيث تلقى تعليما برجوازيا في صباه و قد درس في جامعتي فرايبرج و بينا في الفترة من (1910 إلى 1914) متخصصا في الفيزياء و الرياضيات الفلسفة و قد تتلمذ على يد "جوتلوب فريجه " الذي كان له الأثر الكبير مع"برتراند راسل" في تفكير "كارناب" حيث يقول : عملت في ألمانيا و بشكل كامل في مزرعة صغيرة كانت ملكي حتى عام 1926 و كنت قد بدأت طريقي الفلسفي و تأثرت كثيرا بكل من راسل و أستاذي فريجه و انحصر هدفي في ذلك الوقت في تحليل المفاهيم العلمية مستعينا في ذلك بتطبيق المنطق الحديث من أجل تنقية المشكلات الفلسفية و لم يكن يدور في خلدي في ذلك الوقت على الإطلاق العمل من أجل حركة فلسفية فقد كانت منشوراتي المبكرة تتعلق بموضوعات في أسس الفيزياء ، حيث كانت أطروحتي للدكتوراه بعنوان المكان (محاولة للإسهام في نظرية العلم) و بعض الكتابات الأخرى المتعلقة بالمنطق الرمزي مشددا بصفة خاصة على تطبيقاته ، أما الشطر الأكبر من وقتي في هذه الفترة المبكرة فقد خصصت لإنجاز مؤلفي البناء المنطقي للعالم[1] .

بعد ما أنهى ذلك التوجه إلى فيينا عام 1926، حيث وجد التأثير الكبير ل"فجنشتين" على حلقة فيينا و كان التأثير البالغ في "شليك"و "ويسمان" و انضمامه إلى حلقة فيينا و كان له أثر في نشر الدعوة للوضعية الجديدة إذ بجانب النشاطات التي اطلع بها مع زملائه الآخرين و كان له إنتاج ضخم يكاد يستوعب كل فروع المعرفة العلمية و غادر "كارناب" إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1930 فقد قبل عرضا تقدمت به جامعة شيكاغو لشغل منصب أستاذ عام 1936 حيث أصبح أستاذا حتى عام 1952 ثم انصرف إلى دراسة علوم اللغة ومن مؤلفاته الخاصة بهذا الموضوع :

- مقدمة في علم المعاني 1942.
- الصياغة الصورية للمنطق1943.
- المعنى و الضرورة1943[2].

ثم تغير اهتمامه بعد ذلك تدريجيا تجاه مشكلات الاحتمال و الاستقراء فأصدرمؤلفه (الأسس المنطقية للاحتمال) يعارض فيه النظرية التكرارية للاحتمال عند "ميزس" و " رايشنباخ" ثم قبل كارناب كرسي الفلسفة بجامعة كاليفورنيا عام 1954 ، الذي أصبح شاغرا بعد وفاة صديقه "رايشنباخ و ظل يقوم بالتدريس فيها حتى اعتزاله عام 1961.

اهتم بالمفهوم المنطقي و الدلالة اللغوية و أفاض في الحديث عن الموضوع و كتب فيه كتب مثل التركيب المنطقي للغة و المدخل إلى السيمانيطيقا و المعنى و الضرورة و كانت مهمة الفلسفة في رأيه هي التحليل المنطقي للغة ذات المعنى [3].

---

[1] ردولف كارناب : الأسس الفلسفية للفيزياء، المصدر السابق، ص09.

[2] كارل بوبر: منطق الكشف العلمي ، تر :مُحَمَّد علي ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، د(ط)، 1982، ص14.

[3] مُحَمَّد حسن مصطفى : مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، المجلد 4، العدد 2، 2002، ص4.

نحن بذلك نستطيع أن نقول أن "ردولف كارناب" كان عضوا ناشطا في الجماعة فهو يعد من أهم شخصيات الوضعية المنطقية فهو يعتبر رائدها و المترجم الحقيقي لأهدافها كما أنه يعتبر زعيمها الذي حافظ على مبادئها و حاول أن يحقق بتفصيل و بشكل متماسك و متكامل مذهبها و على الرغم من أن كارناب لا يعتبر المؤسس الحقيقي للوضعية المنطقية إلا أنه أصبح الصورة المعترف بها بصفة عامة للحركة و الأمين على أهدافها الرئيسية و أكثر شخصياتها أصالة و إبداعا ، توفي زعيم الحركة الأكبر عام 1970[1].

بدأ كارناب في رسالة قصيرة له ظهرت في نفس السنة التي ظهر فيها كتاب (التركيب) عام 1928 وكان متأثرا فيها إلى حد كبير بفتجنشتين بدأ ينتقل من حياة الشك تجاه الميتافيزيقا إلى موقف مضاد جذريا وكان يرى أن المشكلات الميتافيزيقية بصفة عامة و مشكلة الفلسفة الواقعية والفلسفة المثالية بصفة خاصة فهي أشباه مشكلات أو أنها مشكلات زائفة، وسرعان ما أصبحت هذه النظرة سائدة بين أعضاء جماعة فيينا، فقد امتنع كارناب حتى موريس شليك بأن يتخلى عن واقعيته[2].

توقف كارناب عند بعض القضايا الميتافيزيقية التقليدية كالقضية القائلة بأن (ثمة إلها) أو أن العلة الأولى للعالم هي اللاشعور أو أن ثمة (قوة فاعلية هي المبدأ الموجه لسائر الكائنات الحية) لكي يقول لنا الفيلسوف الوضعي المنطقي لا يزعم أن أمثال هذه القضايا كاذبة بل كل ما يريده هو أن يتساءل أصحابها قائلا:« ما الذي تعنونه بهذه العبارات،وحين يتحدث الفلاسفة الميتافيزيقيين عن الماهية الحقيقية للأشياء أوعن الأشياء في ذاتها أوعن المطلق أو عن معنى العدم فأن الفيلسوف الوضعي المنطقي لا يسعه سوى الاعترافات بأن كل هذه العبارات فارغة تماما من كل » [3].

السبب في ذلك أن القضايا الميتافيزيقية ليست قضايا تحليلية، كما أنها في الوقت نفسه لا تقبل التحقيق تجريبيا، فهي لا يمكن أن تكون إلاّ مجرد أشباه قضايا ومعنى هذا أن الفيلسوف الميتافيزيقي يجد نفسه مضطرا إلى استخدام ألفاظ لا ضابط لها و لا طائل تحتها، إن لم نقل أنها ألفاظ خالية تماما من كل معنى هذا إلى أن الميتافيزيقيين واللاهوتيين يظنون أن عباراتهم تقرر أشياء أو تحتوي على مضامين في حين أنها قضايا فارغة لا تشير إلى شيء ولا تعني شيئا.

حين قال ديكارت مثلا :(أنا أفكر إذن أنا موجود) فإنه قد توهم أن الاستعمال الوجودي لفعل الكينونة يمثل خاصية من نوع ما ومن ثم فقد راح يتحدث عن الفكر بوصفه وجودا وبذلك ارتكب خطأ لفظيا جسيما وبالمثل حينما قال هيدجر (أننا نعرف العدم) فقد استخدم لفظ العدم كاسم في حين أن الكلمة لا تشير إلاّ إلى عملية النفي أو السلب في مضمار المنطق، وكثيرا ما نلقى في كتب الفلاسفة الميتافيزيقيين مصطلحات

---

[1] ردولف كارناب : الأسس الفلسفية للفيزياء ، المصدر السابق، ص 10.

[2] المصدر نفسه ، ص 164.

[3] المصدر نفسه ، ص165.

كقولهم مثلا "وجود الوجود"أو "فكر الفكر" وما إلى ذلك من عبارات فارغة تماما من كل معنى ولو تمهل الفيلسوف الميتافيزيقي قليلا، لأدرك أولا أن الوجود ليس محمولا أو (صفة)[1].

ليس من حقه أن يطبق تلك الصفة على نفسها، اللهم إلاّ إذا كان بإمكاننا أن نتحدث عن (طول الطول) وفضلا عن ذلك فإنه ليس هناك أدنى معنى لكل تلك الخلافات التي طالما قامت بين الفلاسفة حول المثالية والواقعية والظاهرية والوضعية و ما إلى ذلك : أنه ليس ثمة معنى تجريبي لمشكلة المعرفة مادام من المستحيل تجاوز دائرة الواقعية التجريبية أو العلو على نطاق الظواهر و كارناب هنا يسير في نفس الاتجاه الذي كان فتجنشتاين قد شرع في انتهاجه وإن كان مقصده الأساسي من وراء رفض الميتافيزيقا هو العمل على تطهير العلم الطبيعي والرياضيات وعلى حين أن فجنشتين قد دعا إلى السكوت عما لا يمكن للمرء أن يتحدث عنه نجد أن كارناب وجماعة الوضعيين المناطقة يؤكدون أننا حين نصمت عن الميتافيزيقا فإن ما نصمت عنه ليس بشيء أصلا،أي أن تلك العبارات الميتافيزيقية المزعومة هي مجرد تركيبات لغوية فارغة تتعارض مع الاستعمال الحقيقي للكلمات من جهة، وتضم في الوقت نفسه قضايا زائفة لا تقبل التحقق التجريبي الذي هو المعيار الوحيد لصدق القضايا التأليفية من جهة أخرى.

ولابد لنا فيما يقول كارناب من أن نقيم تفرقة حاسمة بين وظيفتين مختلفتين من وظائف اللغة قد تعني شيئا، أو قد تعبر عن بعض العواطف والرغبات والفلسفة الكلاسيكية قد دأبت على الخلط بين هاتين الوظيفتين مما ترتب عليه أن أصبحت ألفاظ الفلاسفة معبرة عن مجرد عواطف لا دالة على معان ولكن الفلاسفة الميتافيزيقيين قد ظلوا يتهمون أن عباراتهم تمثل قضايا منطقية تقبل البرهنة، في حين أنها مجرد تعبيرات عاطفية تكشف عن انفعالات ومشاعر دفينة و لا تنطوي على دلالات أو معاني منطقية وهنا قد يقال: إذا كانت كل القضايا الميتافيزيقية هي مجرد أشباه قضايا فلماذا تمسكت الإنسانية كل هذا الأمد الطويل بنظريات الميتافيزيقا ومذاهبهم[2].

رد كارناب على هذا الاعتراض، أن الميتافيزيقا لا تنطوي على نظريات كما أنها لا تشتمل على قضايا علمية، ولكنها مع ذلك تعبر عن شيء ما وما هذا الشيء الذي تعبر عنه سوى الشعور بالحياة، فالميتافيزيقا أقرب ما تكون إلى الشعر والأساطير وإن كان الفارق بيت الميتافيزيقي والشاعر أن الأول منهما لا يريد أن يعترف بأن أقواله وليدة الانفعال والعاطفة في حين أن الثاني منهما يسلم بأن شعره أداة فنية يعبر بواسطتها عن شعوره بالحياة و الفيلسوف الميتافيزيقي فيما يقول كارناب هو فريسة لوهم بالغ، لأنه يصوغ عباراته في قالب منطقي[3].

محاولا أن يقيمها على أسس برهانية كثيرا ما يتوهم أن أداته هي العقل أو التفكير لا الخيال أو العاطفة بينما الواقع أن تأملاته كلها لا تخرج عن كونها أحلام شاعر ظل سبيله، وهذا الوهم الذي سيطر على عقول الكثيرين لم يستطع أن يجد سبيله إلى عقل نيتشه حرجا في أن يصوغ فلسفته على صورة أشعار أودعها كتابه

---

[1] زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، دار النشر للطباعة، د(ط)، د(س)، ص 292 .

[2] سالم يفوت : فلسفة العلم المعاصر و مفهومها للواقع ، دار الطليعة ، بيروت ، ط(1)، 1986 ،ص127.

[3] زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة ، المرجع السابق ، ص 292.

(هكذا قال زرادشت) وبذلك اعترف ضمنا بأن الفلسفة تعبير عن الشعور بالحياة والحق أن الموسيقى أقدر من الفلسفة على التعبير عن الشعور بالحياة لأنها متحررة تماما من كل ما هو موضوعي، فهذا الشعور التوافقي بالحياة الذي يريد الميتافيزيقي أن يترجم عنه بمذهبه يتجلى بصورة أوضح في موسيقى "موت سارت" وهذا الشعور البطولي بالصراع أو الجهاد الذي يعبر عنه الميتافيزيقي بمذهبه الثنائي إنما يدلنا على أن الموهبة الموسيقية معدومة لدى الفيلسوف فهو لا يملك عبقرية "بتهوفن" مثلا حتى يستطيع أن يتحرك في الوسط الملائم له ومعنى هذا أن الميتافيزيقيين ليسوا إلا موسيقيين قد عدموا كل موهبة موسيقية فهم يحاولون التعويض عن هذا النقص بما لديهم من ميل شديد نحو العمل في مجال النظريات والاتجاه نحو التأليف بين الأفكار والمفاهيم بينما يعبر الموسيقار بانسجام شعوره بالحياة، يظل الميتافيزيقي عاجزا عن التعبير بمفاهيمه و أنضاره العقلية عن ذلك الشعور الحيوي وبدلا من أن يستخدم عقله في مجاله الصحيح ألا وهو مجال العلم[1] .

يميز كارناب بين استبعاد الميتافيزيقا الذي قامت به الوضعية المنطقية وبين المحاولات السابقة الفاشلة في رأيه والتي يمتد تأريخها من الشكاك اليونان إلى تجريبي القرن التاسع عشر فهؤلاء حاربوا الميتافيزيقا باعتبارها عقيدة كاذبة أو غير يقينية أو عقيمة أما الوضعية المنطقية فقد استفادت من تطور المنطق الحديث الذي جعل من الممكن تقديم جواب جديد أو أكثر دقة فيما يتعلق بالسؤال عن قيمة الميتافيزيقا وإمكان تسوغيها فقد أدت الأبحاث المتعلقة بالمنطق التطبيقي أو نظرية المعرفة إلى نتيجتين : واحدة إيجابية وأخرى سلبية، الأولىكانت في مجال العلوم حين تم توضيح مختلف مفاهيم فروع العلم بواسطة التحليل المنطقي والثانية في مجال الميتافيزيقا ومن ضمنها كل فلسفة القيم والتشريع حين أدى التحليل المنطقي إلى النتيجة السلبية القائلة بأن كل الأحكام المراعاة في هذا المجال لا تحيل إلى شيء وبذلك تم التوصل إلى الاستبعاد الجذري للميتافيزيقا المر الذي لم يكن ممكننا من وجهة نظر الميتافيزيقية السابقة[2] .

في رأي كارناب لابد أن نفهم عبارة لا تحيل إلى شيء بالمعنى الضيق وليس بالمعنى الواسع فبالمعنى الواسع يكون حكم مثل (كان في فيينا ستة أفراد عام 1910) دون مدلول فقط، بمعنى أنه من العقم أن نسأل عنه أو أن نؤكده، ولكنه من جهة ثانية ذا مدلول رغم أنه كاذب أو عديم الفائدة، أما بالمعنى الضيق فسيكون تسلسل ما من الكلمات من دون مدلول، إذا لم تنشئ حكما في سياق لغة معينة، أما إذا بدا هكذا تسلسل من الكلمات حكما للوهلة الأولى ففي هذه الحالة نسميه حكما مزيفا ويظهر في التحليل المنطقي بأن الأحكام الميتافيزيقية المدعاة ليست سوى أحكام مزيفة[3].

يقسم كارناب الأحكام المزيفة إلى نوعين : الأول يتضمن كلمة أو كلمات يعتقد أن لها مدلولا في حين أن العكس هو الصحيح، أما النوع الثاني فهو الذي يتضمن كلمات ذات مدلول ولكنها رتبت بطريقة تخالف

---

[1] زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة ، المرجع السابق ، ص 292.

[2] وداد الحاج حسن : رودلف كارناب نهاية الوضعية المنطقية ، المرجع السابق، ص 78.

[3] المرجع نفسه، ص79.

قواعد النحو بحيث لم يؤدي هذا التسلسل من الكلمات إلى حكم ذي مدلول و الميتافيزيقا تقوم على هذين النوعين من الأحكام.

أما عند السؤال عن تلك الكلمات والأحكام الميتافيزيقية من أين تأتي أليس من المفروض أن لكل كلمة مدلولا وأنها دخلت اللغة على هذا الأساس ؟ يرى كارناب أن لكل كلمة مدلولا في الأصل ولكن بعض هذه الكلمات يتغير مدلولها أثناء التطور التاريخي وبعضها الآخر يفقد مدلوله القديم من دون أن يكتسب أخر جديدا فينتج استخدامها في الجمل أحكام مزيفة، أما الشروط الواجب توفيرها في الكلمة لتكون ذات مدلول، فهي في رأي كارناب **أولا** : أن يثبت نحو الكلمة أي طريقة ورودها في أبسط صورة لجملة، مثلا أبسط صورة لجملة ترد فيها كلمة حجر هو (س هو حجر) بحيث يمكن استبدال (س) بشيء مثل الألماس أو الذهب.

ثانيا : يجب أن يكون من الممكن تقديم جواب السؤال بخصوص الجملة (ج) التي تتضمن الكلمة موضع البحث و يمكن صياغة هذا السؤال بطرق عديدة مثل : ما هي الجمل التي تستنبط منها (ج) ما هي الجمل التي تستنبط من (ج) [1].

متى تكون (ج) صادقة و متى يفترض أن تكون كاذبة، بكلام أخر لتقدير ما إذا كان للكلمة مدلول أم لا يجب تطبيق مبدأ القابلية للتصديق[2].

هو المبدأ الذي ينص على أن مدلول جملة ما يتحدد بشوط تصديقها أي إذا وجدت ظروف ممكنة وليس بالضرورة فعلية تحدد صدق الجملة وفي حالة الكلمات العلمية من الممكن أن نحدد مدلولها بإرجاعها إلى كلمات أخرى، وهذا بتعريف الكلمة مثلا يمكن تحديد مدلول كافة (المفصليات) بالقول أن المفصليات هي حيوانات مقسمة الأجساد ومفصلية الأرجل، وهكذا تتم الإجابة عن السؤال أعلاه بالنسبة إلى جملة (الشيء س هو حيوان مفصلي) فلتحديد مدلولها يجب أن يكون من الممكن استنباط صورة مثل هذه الجملة من المقدمات: صورتها (س هو حيوان)،(س له جسم مقسم)،(س له أرجل مفصلية) وبالعكس يمكن استنباط كل واحدة من هذه الجمل بهذه الطريقة ترد كل كلمة في اللغة إلى كلمات أخرى حتى نصل إلى كلمات تؤلف ما يسمى (بجمل المشاهدة) أو الجمل البروتوكولية فمن خلال هذا الإرجاع تكتسب الكلمة مدلولها أما عن ماهية الجمل البرتوكولية يقول كارناب:

« أنه بالنظر إلى أهدافنا فمن الممكن أن نتجاهل تماما السؤال عن محتوى الجمل الأولية وصورتها [3]»

(الجمل البروتوكولية) والذي تتم الإجابة عنه وبغض النظر عن تنوع الآراء فمن المؤكد أن تسلسلا من الكلمات يكتسب مدلولا فقط إذا تم تثبيت علاقات استنباطية إلى الجمل البروتوكولية مهما تكن مميزات الجمل البروتوكولية وبالمثل يقال للكلمة أنها ذات محتوى إذا أمكن إرجاع الجمل التي ترد فيها إلى جمل بروتوكولية وعلى هذا الأساس تحدد الميتافيزيقا من غالبية كلماتها إلا أنها لا تحقق الشروط أعلاه[4].

---

[1] اسلام عزمي: اتجاهات في الفلسفة المعاصرة ، المرجع السابق، ص150.

[2] وداد الحاج حسن: رودلف كارناب نهاية الوضعية المنطقية ، ص 80.

[3] ردولف كارناب: الأسس الفلسفية للفيزياء، المصدر السابق ص 255.

[4] وداد الحاج حسن: ردولف كارناب نهاية الوضعية المنطقية ، المرجع السابق، ص182.

أما الجمل المزيفة فهي تلك التي تتضمن كلمات ذات مدلول ولكنها لا تبت ترتيبا يخالف قواعد النحو مثل قيصر هو و(قيصر هو عدد أولي) الأولى تعد مزيفة لأنها شكلت بطريقة تخالف قواعد النحو التي تفرض وجود صفة أو اسم في الموقع الثالث أما الثانية فرغم أنها صحيحة نحويا إلا أنها من دون مدلول لأنها كلمة (عدد أولي) تحمل على الأعداد وليس على الأشخاص فلا يمكن بالتالي إنكارها أو إثباتها أي لا يمكن أن تعبر عن قضية صادقة ولاعن أخرى كاذبة[1].

وقد كتب عبد الرحمن بدوي عن فقرة(رفض الميتافيزيقا) وعن كارناب قائلا : يعد كارناب من أكبر من أسهموا في الوضعية المنطقية وهي نزعة يصعب جدا إدراجها بين النزعات أو المذاهب الفلسفية بالمعنى الصحيح لأنها تقوم أساسا على رفض الميتافيزيقا مع أن الميتافيزيقا هي جوهر الفلسفة بالمعنى الصحيح.

يقول كارناب:« أن المشاكل الميتافيزيقية بعامة\ ومشكلة الواقعية والمثالية بخاصة ينبغي أن تعد مشاكل وهمية زائفة »[2].

في مقال كتبه كارناب بعنوان (التغلب على الميتافيزيقا بواسطة التحليل المنطقي للغة) سنة 1932 يؤكد هذا الاتجاه ويدافع عنه وفيه يميز بين نوعين من التقديرات الوهمية أو الزائفة و هما : التقديرات التي تحتوي على لفظ يظن خطأ أن له معنى تجريبيا والتقديرات التي تكون عناصرها ذات معنى ولكنها مجتمعة لا تعطي معنى ويزعم كارناب أن كلا النوعين متوفر جدا في الميتافيزيقا وساق شواهد على ذلك عبارات قالها مارتن هيدجر في محاضرته (ما الميتافيزيقا) ومن بينها عبارة مشهورة وردت في هذه المحاضرة نصها (أن العدم نفسه يعدم) ويعلق عليها كارناب قائلا : هذه العبارة تحتوي على خطأ مزدوج : إذ تحتوي على لفظ لا معنى له وهو يعدم وعلى خطأ في نظم العبارة مجتمعة هو استخدام اللفظ (العدم) على أنه اسم بدلا من أن يكون تعبيرا عن نفي مكمم وجودي مثل لاشيء هو(ع)[3].

من سوء النية قطعا أن يستمد كارناب شواهده من عبارات هيدجر ومن المعروف أن لهيدجر لغة خاصة تختلف كل الاختلاف عن لغة الميتافيزيقيين وينبغي أن تفهم في سياق وإطار فلسفة هيدجر وحدها وما هيدجر إلا واحد من مئات الفلاسفة الميتافيزيقيين منذ أفلاطون وأرسطو حتى اليوم فكيف يصدر حكمه العام هذا على (كل) الميتافيزيقا من مجرد شواهد من عبارات فيلسوف واحد تميزت لغته بطابع خاص جدا ومن الأمثلة التي يسوقها على الكلمات الخاوية من الألفاظ الآتية (المطلق) اللامشروط (الوجود الحق) الله[4].

يصرح كارناب بأن هذا أيضا ينطبق على اللفظ (الله) وبصورة أظهر لأن الميتافيزيقين لا يستطيعون أن يحددوا أولا الوضع النظمي للفظ (الله) فلا يحددون هل هو اسم أو صفة. فإذا فرضنا أن هذا اللفظ صفة (محمول) فإن من الممكن القول : س هو الله، وسيكون معنى هذا القول هو بيان العلامات التجريبية التي لابد أن يملكها

---

[1] وداد الحاج حسن: رودلف كارناب نهاية الوضعية المنطقية ، ص 80.

[2] ردولف كارناب: الأسس الفلسفية للفيزياء ، المصدر السابق، ص256.

[3] بشير خليفي: الفلسفة و قضايا اللغة ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط(1)، 2010، ص13.

[4] اسلام عزمي: اتجاهات في الفلسفة المعاصرة ، المرجع السابق، ص168.

(الله) في نطاق نظرة أسطورية فيها ينظر إلى الإلهة على أنهم يسكنون مواضع محددة وتصدر عنهم أفعال تدل عليهم (مثل إطلاق البرق، أو إطلاق عاصفة على البحر) فإن كلمة الله تكون ذات معنى، أما في الميتافيزيقا حيث يدل هذا اللفظ على موضع عال، على الكون وغير تجريبي فإنه يصبح عديم المعنى [1].

يزعم كارناب أنه لا يؤدي هذا البيان إلى تأسيس الإلحاد لأنَّ الإلحاد يقوم في إنكار صحة هذه القضية :الله موجود) ولكنه بحسب المعيار الذي وضعه كارناب فإن هذه ليست قضية إطلاقا لأنها خلو من المعنى بسبب كون اللفظ (الله) خلو من المعنى ولهذا يقول كارناب إن الإلحاد، من الوجهة النظرية هو موقف لا معنى له تماما مثل التأليه ويحاول كارناب بعد ذلك أن يبين أن العديد من المسائل الفلسفية يمكن بيان أنه مسائل زائفة، وإن كان ينظر على أنها مسائل تتضمنها نظرية المعرفة، مثال ذلك (مشكلة حقيقة العالم الخارجي).

فإذا تساءل المرء: إذا كانت القضايا الميتافيزيقية عديمة المعنى فمن أين جاء إذن قيام مذاهب ميتافيزيقية باستمرار وإثارة مسائل جدلية وهمية ، وجواب كارناب هو أن العلم ليس هو النشاط الروحي الوحيد الذي يقوم به الإنسان فهناك نشاطات أخرى مثل الفن والدين وهكذا فإن المذاهب الميتافيزيقية ما هي إلا صور مختلطة غامضة مستمدة من هذه الميادين الثلاثة :الميتافيزيقا الفن، الدين[2].

فللميتافيزيقيين حاجة شديدة إلى التعبير عن شعورهم بالحياة لكن ليست لديهم القدرة على القيام بذلك على نحو مناسب، بخلق أعمال فنية كذلك لديهم ولع بتناول التصورات المجردة وينشدون أحيانا نوعا من التقوى الدينية ومن ثم يتناولون لغة العلم ويعبرون بها عن تجربتهم للعالم ولكن على نحو غير سليم أبدا،أنهم لا يؤدون للعلم شيئا، وأما بالنسبة إلى الشعور بالحياة فيقدمون شيئا غير واف لو قورن بما يقدمه كبار أهل الفن، وبالجملة يزعم كارناب أن الميتافيزيقا تعبير غير واف عن الشعور بالحياة، إن الميتافيزيقيين موسيقيون بغير موهبة موسيقية أو شعراء يفتقدون إلى الملكة الشعرية.

أما المشاكل الكبرى التي شغلت الميتافيزيقا نفسها بها منذ القدم فهي في زعم كارناب ليست مشاكل علمية على الإطلاق لأن المشكلة تقوم حين تصاغ قضية وينظر هل هي صحيحة أو باطلة، أما إذا كانت القضية بغير معنى، فإن المشكلة التي تعبر عنها هي مشكلة وهمية زائفة [3].

بهذا نصل إلى أنَّ فكرة المشكلة الزائفة في الفلسفة، فكرة هامة لدى فلاسفة الوضعية الجديدة سواء لتأثيرها في كتاب وفلاسفة آخرين أو لتواتر تكرارها بشكل أو بآخر خلال كتابات كارناب نفسه، وعلى الرغم من أنها لم تكن الفكرة المحورية في فكر كارناب النسقي، والواقع أن أفضل فهم لهذه الفكرة إنما يكون في سياق النظريات التجريبية للمعنى وهذه الفكرة في صورتها الأصلية إنما تقوم مباشرة على أساس ما يشير إليه كارناب باسم (مبدأ فجنشتين) الخاص بإمكان التحقق وهذا يؤكد أن معنى العبارة يقدم بواسطة شروط تحقيقها، وأن العبارة لا تكون ذات معنى إلا إذا كانت (من حيث المبدأ) قابلة للتحقق ولقد استبدل بمطلب إمكان التحقيق فيما بعد

---

[1] المرجع نفسه، ص170.

[2] زكي نجيب محمود : حياة الفكر في العالم الجديد ، دار الشروق ،ط(1) ،1956، ص127.

[3] بدوي عبد الرحمن : موسوعة الفلسفة، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط(1)، 1984، ص 250.

بمبدأ أضعف هو مبدأ إمكان المطابقة أو (إمكان الإثبات) confrmability وبوجه عام فإن النظرية التجريبية في المعنى ترى أن الألفاظ أو الكلمات إنما تستمد وتشتق معناها عن طريق استيفاء شروط معينة وهذه الشروط يتم التوحيد بينها وبين نوع من الدلالة التجريبية المباشرة وغير المباشرة هذا ويعتبر كارناب وعدد من التجريبيين المنطقيين الآخرين يعتبرون بعض التعبيرات والعبارات اللغوية والرياضية على أنها ذات معنى على الرغم من أنها بدون مضمون أو محتوى واقعي وذلك لاهتمامهم ببنية اللغات التي تصاغ فيها العبارات التجريبية إلا أن كل العبارات الأخرى بخلاف تلك التي تكون ذات دلالة تجريبية وكذا العبارات اللغوية ينبغي اعتبارها على أنها خالية من المعنى أو مجرد لغو.

الفصل الثالث

الوضعية المنطقية دراسة إبستيمية

المبحث الأول: آراء ماركيوز النقدية

المبحث الثاني: كارل بوبر...نقطة تحول

المبحث الأول

آراء ماركيوز النقدية

واجهت الوضعية المنطقية عدة انتقادات في مبادئها خاصة الدليل الاستقرائي و مبدأ التحقق و يمكننا تلخيص النتائج التي انتهت إليها الوضعية المنطقية في تفسيرها للدليل الاستقرائي وهي:

أ- إن الدليل الاستقرائي يستحيل عليه أن يبلغ رتبة اليقين و التعميم.

ب- إن حسابات الاحتمال هي التي تعطي للقضية الاستقرائية درجتها الترجيحية رغم أنها بدورها تستمد من عملية استقرائية سابقة، و هكذا يتوالى التراجع في الإسناد و المرجعية إلى ما بداية له.

ج- تتصف النتيجة في الدليل الاستقرائي بأنها قائمة على أساس القدر النسبي من حد التردد و التكرار الذي يمكن التوصل إليه من خلال العملية الاستقرائية.

ففي الاستقراء الوضعي عرفنا أن النتائج تتخذ على الدوام قيما احتمالية و ذلك باعتبارها تعتمد على حد التردد الذي يستخلص من العملية الاستقرائية القائمة بدورها على حد تردد سابق و هكذا إلى ما بداية له.

على ضوء الأمثلة المقدمة من طرف"راشينباخ" حول قيم التنبؤ في الدليل الاستقرائي هي في حد ذاتها محتملة و ذلك لأنه يقدم على احتمال يرجح صحة العملية الاستقرائية طالما لا يوجد لدينا دليل يؤكد عدم خطئنا في إجراء العدو حساب الترددات الخاصة بالنسب.

فيما يتعلق بالإدراكات و مبدأ التحقيق فهناك بعض الاعتراضات التي واجهتها الوضعية المنطقية و هي كالتالي: هناك بعض الإدراكات المعرفية المباشرة لا تنتمي إلى قائمة القضايا التحليلية ولا الاستقرائية و لا الميتافيزيقية و إدراكنا المباشر لوجودنا و هو إدراك يحكم عليه بنوع من الضرورة الحضورية التي تجعل التصديق به تصديقا أوليا و لازما دون أن يخضع إلى أي دليل مهما كان شكله[1].

أما عن مبدأ التحقيق لا يتصف بالصدق و الكذب كما يعلن بذلك بعض الوضعيين لاقتضى أن يكون هناك قسم آخر يضاف إلى أقسام القضايا ،مما يحتاج إلى عملية تفسير توضح منشأ معرفته و علة عدم إتصافه بتلك الصفة ، لا يملك مبدأ التحقيق القابلية على التحقيق لكافة قضايا الواقع ذات المعنى و بالنسبة للسلبيات الموجودة في موقف الوضعية المعاصرة إتجاه العلوم المعيارية فهي لا تعالج القضايا الأخلاقية من منطلق اجتماعي بل بالتحليل المنطقي القائم على اللغة و المعروف أن علم الأخلاق يقرر ما يجب أن يكون و ليس ما هو كائن فهو خالي من الدلالة المعرفية التجريبية و علما الأخلاق و الجمال معياريان لا علاقة لهما بالواقع و ليسا علميان و لذا فهما لا يخضعان لمبدأ التحقيق.

ماركيوز(*): يرفض ماركيوز منهجية الوضعية المعاصرة لأنها تزدري و تحتقر المفاهيم القادرة على تعقل الواقع و كشف بنيته الاضطهادية و لابد من إظهار الفكر الفلسفي الدياليكتيكي لكي يكون من الممكن حصول التغير الاجتماعي و إن طريقة و منهج الوضعية المعاصرة المستند على تحليل اللغة يجعل الفكر يكف على أن يكون نقدي.

---

[1] زيدان محمود : الاستقراء و المنهج العلمي، الإسكندرية، ط (4)، 1980، ص 70.

[*] هربرت ماركيوز herbert marcuse (1898-1979) فيلسوف و مفكر ألماني معروف بتنظيره لليسار الراديكالي .

فهو يعترف أن الوضعية المنطقية ليست علمية تماما في رأي عدد من الفلاسفة حيث يقول ماركيوز: «إنَّ التحليل اللغوي يريد أن يكون صحيحا دقيقا واضحا و أنا لا أنكر أن يتوصل إلى ذلك أحيانا و لكنه يظل مع ذلك ناقصا و غير كافي و هو علاوة على ذلك يلحق الضرر بالفكر الفلسفي و الفكر النقد»[1].

المأزق الذي يقع فيه تحليل اللغة هو إما أن يكون تجريبيا كاملا لا يقبل سوى القضايا التحليلية للغة و التي تستمد من التجربة في هذه الحالة لا يستطيع أن يعتمد الاستقراء و هو أساس التجربة ، أو أن يقبل الاستدلال عندئذ يكون قد قبل مبدأ غير تحليلي لا يمكن استخلاصه من التجربة و بذلك تكون الوضعية المعاصرة قد تخلت الفلسفة الوضعية التجريبية فلسفة إيجابية ترفض عنصر السلب الذي يؤدي إلى التغير لذلك فهي فلسفة تسعى إلى الحيلولة دون وقوع تغير ثوري في نظام المجتمع و في رأيهم يجب أن نحذو حذو العالم الطبيعي الذي لا يغيَّر شيء من ظواهر الطبيعة إنما يكتفي بتسجيل ما هو موجود منها و بيان طريقة الظواهر عن التجريبية التي تسمي نفسها بها ، يرى "ماركيوز" أن و عملها و محاولة إيجاد قانون لذلك يستطيع بواسطته أن يفسر سلوك هذه الظواهر مستقبلا[2].

كان "أوغست كونت" مدافعا عن النظام القائم، و كان عدوا لأي اتجاه إلى إدخال تغير ثوري عليه و الحق أنه ليس هناك ما يدعو إلى الاستغراب في أن تجمع النزعة العلمية الدقيقة و النزعة المحافظة في مركب واحد و في رأي ماركيوز أنه من النادر أن نجد في الماضي فلسفة مثل فلسفة كونت تطالب بالإلحاح و صراحة بحفظ السلطة القائمة و حماية المصالح الموجودة ضد أي هجوم ثوري يهدف إلى التغيير.

هكذا شغلت الوضعية المنطقية نفسها بمعرفة الإنسان بأساليب دقيقة مضبوطة تشبه أساليب دراسة العلوم الطبيعية و هذا هدفا يبدو جيدا في ظاهره من أجل إنقاذ العلوم الإنسانية من تخبطها حيث يقول "ماركيوز" في هذا الطرح : « إن مصطلح الوضعية منذ استعملته لأول مرة مدرسة " سان سيمون " يشير إلى ما يلي: اتجاه الفكر نحو العلوم الفيزيائية بوصفها نموذجا لليقين و الصحة و الدقة من هنا فإن الوضعية تعارض كل ميتافيزيقا و كل مذهب متعالي و المثالية بوصفها أنماطا مختلفة من أنماط الفكر»[3] .

الفلسفة ليست كما فهمها "فجنيشتين" بأنها ليست إلا مشروعا يترك كل شيء كما هو في حين أن مهمة الفلسفة التاريخية هو أن تفجر الوقائع بل تدمرها و هذا هو هدف الفلسفة ، إن المذهب الوضعي المحدث الذي أهمل بعد الفلسفة النوعي و ألغاه قد وجد نفسه مضطر إلى العمل في عالم أكاديمي أفقر نفسه على نحو مصطنع و إلى خلق مشكلات وهمية بدلا من حل المشكلات الواقعية، فلقد كانت الفلسفة منذ مر العصور شيئا أعظم من تكون مجرد الوضوح اللغوي حسب رأي "ماركيوز".

---

[1] فؤاد زكريا : هربرت ماركيوز ، دار الفكر المعاصر ،القاهرة ،1978 ، ص31.

[2] هربرت ماركيوز : العقل و الثورة، تر :فؤاد زكريا، الهيئة المصرية للتأليف، مصر، د(ط) ،1970 ، ص199.

[3] المرجع نفسه ، ص 200.

المبحث الثاني

كارل بوبر ... نقطة تحول

كارل ريموند بوبر karl reimund popper (1902-1994) واحد من معالم الأنتلجنسيا النمساوية بالأصل و الميلاد و الإنجليزية بالتجنّس و المواطنة فيلسوف علم غني عن التعريف لما تركه من بصمات في القرن العشرين علما و فلسفة بوجه خاص و معرفة بشكل عام كما قال "إمري لاكاتوس":تمثل أفكار بوبر أهم تطور حدث في فلسفة القرن العشرين. من مؤلفاته الشهير.

-منطق البحث العلمي .

-منطق الكشف العلمي [1].

حيث يعتبر هذا الأخير منعطفا كوبرنيقيا في فلسفة العلوم المعاصرة نظرا للقيمة العلمية التي يحملها و المرتبطة أساسا بمنهجه النقدي في تناول المعرفة العلمية بأفكار جديدة ، فهو يتميز بشخصية علمية فلسفية تميزت برصانة فكرية و تماسك منطقي و روح النقد العالية [2].

بعد هذه التوطئة فإننا مضطرين الآن إلى تبيان معالم هذا الاتجاه العام لفلسفة "بوبر" و لقد تنامى الحس النقدي لديه بسرعة لما تعلَّمه من "سقراط" رائده الأول في الحيطة و الحذر قائلا في ذلك : كان سيدي الذي علَّمني كم هو قليل ذلك القدر الذي نعرفه و أن أية حكمة نبتغيها ليست سوى إدراك يتعاظم مع مرور الوقت بما لدينا من جهل لا حدود له[3].

يعتبر "بوبر" العدو اللدود للاستقراء ، فقد عمل على إبطاله و تفنيده في كل مناسبة يتحدث فيها عن المعرفة بشكل عام و المشكلات الابستيمولوجية بوجه خاص فلم يغير وجهة نظره تجاه الاستقراء على امتداد أبحاثه و اهتماماته الابستيمولوجية في أبعادها المنهجية و المنطقية ففي مؤلفه منطق الكشف العلمي لم يكف"بوبر" عن التنكر للاستقراء و المجاهرة برفضه و عدم الاعتراف بوجوده أصلا و الذهاب إلى اعتباره مجرَّد خرافة ، مستفيدا من انتقادات "هيوم" التي وجهها للاستقراء من خلال إنكاره لمبدأ العلية التي تنطوي على الضرورة و التي أعدَّت حرب الاستقراء و التي لم تسلم بدورها من انتقادات "بوبر " لما احتواه الموقف الهيومي على أهميته من نزعة ذاتية سيكولوجية كافحها بوبر و رأى فيها تراجعا من "هيوم" عن تحامله الشديد إزاء النزعة الاستقرائية لأنَّه عاد للتسليم به بدعوة منه أننا مبرمجون بطريقة تجعلنا لا نملك إلَّا أن نفكر استقرائيا[4].

لم يتردد "بوبر" في إبطاله و نفي وجود شيء اسمه الاستقراء و يعترف بالتعلم من الخبرة و ينكر صراحة أن تبدأ معرفتنا من الملاحظات و التجارب كما تدَّعيه النزعة الاستقرائية ممثلة بالتجريبية الكلاسيكية و الحديثة أي الوضعية المنطقية التي واصلت خط سالفتها و بالنسبة إلى "بوبر" فإنَّ التوقعات الفطرية كما يسميها تشكل نقطة البدء في أي مسار أو مطلب معرفي ، هذه التوقعات التي نحملها كاستعدادات و نظريات يأخذ بها العالم و يسعى لإخضاعها إلى تجارب و ملاحظات لاختبار و قياس و مدى وجاهتها و ملاءمتها للواقع للأخذ بها مؤقتا إذا ما

---

[1] عبد القادر ماهر :نظرية المعرفة العلمية ، دار النهضة العربية ،بيروت ، د (ط)، د(س)، ص31.

[2] مذبوح لخضر : كارل بوبر و مشكلة المعرفة الاستقرائية في مدخل جديد إلى فلسفة العلوم، منشورات جامعة منتوري، دار الهدى، عين مليلة، 2000، ص123.

[3] قاسم محمَّد : نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية د(ط)، 1995، ص27.

[4] محمَّد السيد : التميز بين العلم و اللاعلم، منشأة المعارف، الإسكندرية، د(ط)، 1996 ، ص23.

تجاوزت محك الاختبارات أو تم تعزيزها بالمصطلح البوبري أو إزاحتها من طريق العلم إذا فنَّدتها نتائج التجربة لذلك يعتبر "بوبر" أنَّ السؤال المتجادل بشأنه و الذي يشكل نواعا ضاريا بينه و بين الاستقرائيين حول أيهما أسبق الملاحظة (ح) أم الفرضية (ض) مفصول فيه و هو أشبه ما يكون بالسؤال التقليدي الشائع و القديم أيهما أسبق الدجاجة (ح) أم البيضة (ض)؟

كان رد "بوبر" معروف إذ يتلخص في الإجابة عن كلا السؤالين (ض) نوع أولي من البيضة و أولي من الفروض هي ما يطلق عليه بالنزوعات الفطرية التي يولد الذهن مزودا بها[1].

بذلك يتمادى "بوبر" في إنكار دور الملاحظة الحسية في التوصل إلى الفروض أو القوانين العلمية التي هي ليست مجَّرد قراءة للواقع تمخض عن تخمينات و افتراضات جريئة ، تأتي الوقائع لاحقا لاختبارها و معاينتها عن طريق أساليب الملاحظة و التجريب حيث يقول "بوبر ":« يضع العالم سواء كان نظريا أم تجريبيا قضايا أو أنساق من القضايا ثم يختبرها تدريجيا في ميدان العلوم الإمبريقية و بصفة خاصة يكون فروضا أو أنساقا من نظريات و يجري عليها اختبار في مواجهة الخبرة عن طريق الملاحظة و التجربة»[2].

هذه المسألة تبدو اليوم محل تقاطع العديد من فلاسفة العلم فها هو"باشلار" يعلن أن الواقع التجريبي هو نهاية التفكير العلمي لا نقطة بدايته [3].

فمستجدات القرن العشرين قد بيَّنت أنَّ المنهج العلمي هو المنهج لفرضي الاستنباطي و لذلك نقول أن بوبر لم يكن صاحب بدعة عندما يزحزح الملاحظة معولا على الفرض و منح له الأولوية و هو رهان وجيه يشاطره فيه الكثير من العلماء و في سعي بوبر للتأكيد على أهمية الفرض و بالتالي اسبقيته على الملاحظة و التجريب و من ثمة أولوية العقل و تقدمه على الواقع.

حل مشكلة الاستقراء يتضح في قوله: أعتقد أنَّني وجدت حلا لمشكلة فلسفية كبرى- مشكلة الاستقراء- لقد كان هذا الحل مثمرا جدا[4] .

من خلالها انشغل بالبحث عن إيجاد معيار لتمييز علمية النظرية من عدم علميتها، رافضا معيار التحقق و القابلية التي أخذت به الوضعية المنطقية ما جعله ينتقده على طول الخط مع التعديلات التي حاول بعض أعضائها إدخالها عليه ومع موقفه المناهض للاستقراء الذي أحدث له مقاطعة مع "ريشنباخ" و لم يصافحه في مؤتمر براغ 1932 مسجلا المغالطات و الأخطاء التي وقعت فيها النزعة الاستقرائية، فبوبر يؤكد رفضه انطلاقا من تمييزه بين القضايا الكلية و القضايا الشخصية المفردة فالعلوم الامبريقية معنية أصلا باكتشاف القضايا الكلية الصادقة و هي تتقدم ابتداء من اختبار فروض كلية أو نظريات في مقابل قضايا شخصية تشير إلى كل ما يمكن

---

(1) يمنى طريف الخولي : فلسفة القرن العشرين ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، د (ط)، 2000، ص346.

(2) بوبر كارل : منطق الكشف العلمي ، ج1 ، تر : ماهر عبد القادر ، دار النهضة العربية ، بيروت د (ط)، 1986 ، ص30.

(3) يمنى طريف الخولي : فلسفة القرن العشرين ،المرجع نفسه ، ص169.

(4) عبد القادر ماهر: نظرية المعرفة العلمية، المرجع السابق، ص 31.

ملاحظته مباشرة في قطاعات أو نقط مخصوصة من الزمان و المكان على عكس القضايا الكلية التي تشير إلى قطاعات الزمان و المكان[1].

هكذا ينزاح كابوس الاستقراء و يتلاشى الوهم به فلا أثر للاستقراء من أي صنف كان لا في أي طور من أطوار المعرفة و لا في أي مستوى من مستويات العلاقة بين العقل و الواقع التجريبي و بهذا يرى بوبر أن حلَّ مشكلة الاستقراء و تخلَّص من المعضلة التي أضلت العيون منذ "هيوم" و "راسل" .

رأينا كيف سارت فلسفة العلم بشكل عام في إطار منطق تبرير المعرفة العلمية بمعنى تحديد مبررات تمييزها في مصداقيتها و نجاحها في أداء مهامها المرتبطة بالعلم سواء استند هذا التبرير إلى معطيات التحقق التجريبي أو إلى معايير البساطة الآداتية و إن مالت كفة الطرح الوضعي في كلتا الحالتين ثمة تبرير للنسق العلمي كمنجز راهن و راسخ يمكن أن يستوعب تطورات أبعد و من هنا تمثل فلسفة بوبر نقطة تحول حاسمة مادامت فلسفة العلم قد انتقلت معها من منطق التبرير إلى منطق الكشف العلمي المعالجة المنهجية له على أساس من قابليته المستمرة للاختبار التجريبي و التكذيب لتعين الخطأ كي يحل محله يوما ما كشف أفضلا و أكفأ و أقرب إلى الصدق، و قد كان لهذا الكشف تأثير كبير في تطورات الوضعية المنطقية حيث تستند فلسفة بوبر بأسرها إلى أن الخاصة المنطقية المميزة للعلم التجريبي هي إمكان تكذيب عباراته هي قابلة للمواجهة مع الواقع للنقد و المراجعة و اكتشاف الأخطاء.

لاحظ كارل بوبر أن كل فلاسفة العلم منذ "جون ستيوارت ميل" بل كل فلاسفة المعرفة التجريبية منذ "دافيد هيوم" حتى "ماخ" و الوضعيون ينظرون إلى المعرفة العلمية بوصفها حقائق مثبتة فينشغلون بتبريرها و صمَّم "بوبر" على إحراز الخطوة الأبعد و أكد أنَّه على عكسهم جميعا لا يعني البتتة بتبرير المعرفة العلمية أو حدود صدقها و صحتها بل يعنى فقط بمشكلة نمو المعرفة و كيفية تقدمها فيصوب الأنظار إلى منطق الكشف العلمي و اللحظة الدراماتيكية الكبرى المتمخضة عن الجديد لحظة التكذيب و التفنيد في إطار معالجة منطقية منهجية بالغة الدقة [2].

كانت النظرة البوبرية أقدر من سواها على طرح المعرفة العلمية بوصفها قابلة للاختبار البين ذاتي أي الموضوعي كمعرفة ديناميكية متحركة، وقد شكل معيار القابلية للتكذيب الذي اقترحه فيلسوف العلم واحد من المعايير التي حاولت ترسيخ مبادئها في سياق العلم و نسقه النظري و تتمثل أهمية هذا المعيار في عدة نقاط منها:

- تعود بعض الركائز التي يقوم عليها معيار القابلية للتكذيب إلى مرحلة العلم الحديث مثل خطوة الاستبعاد و حذف الخطأ.
- يتجسد هذا المعيار في الأسلوب التكذيبي لا التأييدي.
- يتسم بالخاصية الكشفية لا التبريرية.

---

[1] كارل بوبر: منطق الكشف العلمي، المرجع السابق، ص 31.

[2] يمنى طريف الخولي : فلسفة القرن العشرين ،المرجع السابق ، ص317.

عالج العديد من القضايا الاستمولوجية و نقد بوبر لهذه الخطوات و رفضها و تحدثت "يمنى طريف الخولي" مطولا حول أطروحة الوضعية المنطقية و معيارها القادر على تميز العلم و نقد بوبر لهذه الأطروحة كما تحدثت عن موقف هذا الأخير من الميتافيزيقا و إعجابها بهذا المعيار البوبري جعلها تهمش المعايير الأخرى حيث تقول معيار القابلية للتكذيب بلا جدال أقوى و أصوب و أمتن منطقيا و فلسفيا و علميا بما لا يقارن بهذا التحقق، و لا ينبغي أن نأخذ في الاعتبار ما يتمتع به التحقق من شهرة فلسفية لم تحزه إلا أفكار قليلة في القرن العشرين[1].

إن معيار القابلية للتفنيد مافتئ بوبر يشرحه و يوظفه مطبقا إياه على مختلف العلوم من تبيان الحقيقي لأن هناك نظريات تقبل الاختبار و من ثمة تبقى عرضة للتكذيب في أي لحظة من خلال وقائع تجريبية قد تناقض ما تذهب إليه و هو ما يعني في حالة حصوله إبعاد النظرية لأن التناقض الذي يعده "هيجل" علامة صحية و عاملا ضروريا للصيرورة و مبدأ كل تطور هو بنظر بوبر مؤشرا خطأ يجب إزاحته بالإقلاع عن احد الأطراف المتناقضة يقول "بوبر" :إن النظرية التي تقبل مخاطرة التفنيد اي القابلة للتكذيب ستصف عالمنا المعين، عالم خبرتنا الوحيدة و ستفرده عن فئة كل العوالم الممكنة منطقيا و بمنتهى الدقة المستطاعة للعلم [2].

تعد القابلية للتكذيب المرتبط ارتباطا وثيقا بالقابلية للاختبار الفارق الجوهري بين التفسيرات العلمية و اللاعلمية و هو ما جعل بوبر يتوصل إلى عدم علومية المباحث الإنسانية لأنه عند إخضاعها لمعيره و سحبه عليها وجدها تند عليه طالما أنها لا تقبل ما يبطل أو يفند قضايها و لو بمثال سالب واحد أو بقضية مفردة واحدة تطعن في مضامينها على عكس العلم الطبيعي فالعلم يقترح علينا أن القضايا الكلية الوصفية قد تم تكذيبها بواسطة قضايا شخصية أم لا العلم و الميتافيزيقا و العلم الكاذب فلا يقترح علينا مثل هذا التحديد و هو ما يخرجنا من دائرة العلم لأن قضاياها في هذه الحالة لن تناظر أية واقعة موجودة في العالم الخارجي[3] .

لكن هذا لا يعني أن الميتافيزيقا غير ذات معنى كما يعتقده الوضعيون بل أنها تسهم أحيانا في انطلاق و انبعاث الأفكار العلمية و بصورة أصلية، أنه من الحقائق المسلم بها أن الأفكار الميتافيزيقا البحتة ذات أهمية قصوى للكوزمولوجيا فمن "طاليس"إلى" آنشتيـــن" ومن الذرية القديـمة إلـــى التأملات "ديكارات" و من تأملات، "جلبارت" و "نيوتن" عن القوى أضأت الأفكار الميتافيزيقيا معالم الطريق[4].

يبدو أنَّ الدافع لتأليف – منطق الكشف العلمي – ل"كارل بوبر" هو نقد الوضعية المنطقية، صحيح أن الميتافيزيقا ليست علما لكن هذا لا يعني أنها بلا معنى ، إنما على عكس ذلك نجد أن الميتافيزيقا تقدم اسهاما

---

[1] اختيار ماهر : إشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوبر في النظرية و التطبيق، منشورات الهيئة العامة السورية،وزارة الثقافة، دمشق، د (ط)، 2010، ص47.

[2] كارل بوبر: منطق الكشف العلمي، المرجع السابق، ص 67.

[3] السيد محمد : التمييز بين العلم و اللاعلم ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1996، ص130.

[4] كارل بوبر: منطق الكشف العلمي، المرجع السابق، ص 57.

للعلم و الدليل على ذلك ان "بوبر" يصر على أن: من الحقائق المسلم بها هي الأفكار الميتافيزيقية فالقضايا الميتافيزيقية تسهم في انطلاق الأفكار العلمية و بصورة أصيلة.

في بادئ ذي البدء نلاحظ أن الوضعية المنطقية أتت ثورة في عالم التفلسف تقلبه رأس على عقب حين زعمت أن التحليل المنطقي يمكنه الكشف على أن المشاكل الفلسفية لغوا بغير معنى و "بوبر" لا يرى في هذا ثورة و لا جديد، الوضعيون المناطقا هم قادة الهجوم في القرن العشرين، "بوبر" هو المدافع المستخف به في الفلسفة التقليدية الذي يصر على أن مشاكلها حقيقية و ليس هناك شيء على وجه الإطلاق في نظر "بوبر" يعزف عن النقد أو حتى يستغني عنه و صوب نقده نحو الوضعية المنطقية في منحاها اللغوي فالاهتمام بالكلمات و معانيها واحدا من أقدم المشاكل الفلسفية و كان السوفسطائين المهتمون بتمييز المعاني المختلفة للكلمات فأطلق "أفلاطون" على هذا الاهتمام مبدأ "بريديقوس" السوفسطائي و يرفض "بوبر" الفلسفات التحليلية اللغوية بتعبير موجز يقول فيه : مازالت على اعتقادي بأن أقصر طريق إلى الخسران العقلي المبين هو هجران المشاكل الحقيقية من أجل المشاكل اللفظية [1].

فهو يعلي من شأن اللغة من خلال وظائفها التعبيرية و الإشارية لهذا يقر بأن الوضعيون المنطقيون أخطئوا حين حددوا الفلسفة بمشكلة معينة واحدة و هي المشكلة اللغوية و اخطئوا حين حددوا منهج الفلسفة بمنهج واحد لا سواه هو التحليل المنطقي ،يرى "بوبر"أنَّ التحليل إذا طرح أصلا لا يكونفقط للغة بل تحليل لموقف المشكلة العلمية بأسره و للمناقشات التي حولها و لا يمكن تكثيف ماهية الفلسفة و تعريفها بممارسة منهج معيَّن [2].

أما موقف "فجنشتين" و أتباعه الوضعيون من الميتافيزيقا هو الذي دفع "بوبر" إلى هذا العداء السافر فهو يرى أنَّ الميتافيزيقا ضرورية لتقدم العلم ذاته لتوسيع الخيال العلمي فتلهم بفروض خصيبة و بالنظر إلى هذه المسألة من الزاوية السيكولوجية و "بوبر" يرى الكشف العلمي مستحيلا بغير الإيمان بأفكار من نمط تأملي خالص و لعل النظرة العلمية الصارمة لا تبيح هذا التهميش الميتافيزيقي لكنه الأمر الواقع و ربما عاقت بعض الأفكار الميتافيزيقية طريق التقدم العلمي و أبرزها فكرة "أفلاطون" بتحقير المادة و كل ما يتصل بالحواس كأداة للمعرفة ، لكن إذا تركنا الأمثلة القليلة و بعض من الشطحات الميتافيزيقية التي يمكن أن نعدها فعلا ثرثرة و لغو وجدنا أفكارا ميتافيزيقية جمة ساعدت عاى تقدم العلم بل كانت ضرورية له ، و بعضها أوحى بصورة مباشرة بنظريات علمية تطورت عن فروض ميتافيزيقية صريحة أبرزها مركزية الشمس [3] .

يتفق الكثيرون مع "بوبر" لها جذور في الفلسفة لكن من زاوية ؟أخرى تبرز العلاقة التبادلية حيث يوضح كيف أنَّ المشاكل الفلسفية و الميتافيزيقية دوما ذات جذور علمية و اجتماعية و دينية ، يذهب بوبر إلى إثبات

---

[1] بول موي: المنطق و فلسفة العلوم، تر: فؤاد زكريا، دار نهضة مصر، القاهرة، ط 1، د(س)، ص 10.

[2] يمنى طريف الخولي : فلسفة القرن العشرين، المرجع السابق، ص 230.

[3] موريس ريتشارد: حافة العلم عبور الحد من الفيزياء إلى الميتافيزيقا، تر: مصطفى ابراهيم فهمي، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1994، ص108.

دعواه بشروح عدة لمشكلات من أخص خصائص الفلسفة كالمقولات الكانطية ليثبت حدود عصرها و ينتهي إلى أنَّ الوضعيين المناطقة هم الذين قلبوا المشاكل الفلسفية الحقيقية إلى لغو و مشاكل زائفة [1].

يرى بوبر أن معايير الوضعية لم تهدف إلى تمييز العلم حقيقة بل الغرض المسبق و المستحيل هو استبعاد الميتافيزيقا بوصفها لغوا بغير معنى و لا يمكن استبعاد كيان ثري كالميتافيزيقا بجرة قلم و لو أرادو استبعاد الغ حقا فعليهم أن يقومو بفحصها فحصا نقديا مفصلا و او فعلو لاكتشفوا كنوز أفكار الخصبة التي تحويها الميتافيزيقا فكان الخطأ الكبير الذي وقعت فيه الوضعية المنطقية هو المطابقة بين العلم و اللاعلم و المعنى و اللامعنى هذه المطابقة هي التي ردَّت سهامهم إلى نحورهم و جعلت مناقشتهم عن المعنى بدون معنى .

يحضرنا في هذا المقام الفيلسوف "كانط"الذي عرف بفلسفته النقدية و التي شبهها بالثورة الكوبرنيكية كان يرميمن وراء بحثه في العقل نظرية المعرفة و المعرفة الأخلاقية ، لذلك سميت فلسفته بالمثالية النقدية إذ وجه كانط نقده إلى المذهبين العقلي و التجريبي و أراد من ذلك توسيع دائرة المثالية بأن يجعل العقل ينزل إلى حقل التجربة فيتسلط عليها و من هنا سميت فلسفته بالنقدية .

قصة الفلسفة بكل حلقاتها تنطوي على تبادلية التأمل و التجربة و الفرق بينهما من حيث المنهج و الغاية و المعطياتالتفكير الميتافيزيقي في عالم الجوهر و المثل و يوصف بأنه منهج عقلي و روحي فيما يسعى التفكير العلمي إلى الوقوف على عالم المادة و التجربة و يعرف بأنه منهج تحليلي عندها تلجئنا الحاجة أن نسأل كيف نفكر فلسفيا؟عبر ميتافيزيقا أم من خلال وقائع العلم و بيانات التجربة ؟ أم الاثنين معا؟ و بعد مجيء بوبر الذي ناد بعدم التخلي عن العقائد الميتافيزيقية التي لا تتغير ، جاء هذا الرأي نتيجة الصدع القائم في عالمنا الحاضر بين العلوم و الإنسان فالعلم يقدم الطرائق لتصميم أجهزة فيزيائية و كيميائية بينما الفلسفة تزودنا بطرائق لتوحيد السلوك البشري و من ثم فالجانب الفلسفي يصل إلى العلمية بطريقة مباشرة أكثر مما يستطيع العلم بمعناه المحدد أن يفعله و قد تنبَّأ كارل بوبر بظهور الفلسفة الميتافيزيقية و أكدها كانط (1724-1804) بقوله: « الإيمان بالله و بعالم آخر متوا شج بطبيعتي الأدبية لدرجة أنه لا يمكن للأول أن يزول أكثر مما لا يمكن أبدا انتزاع الثاني مني»[2].

من هنا تتضح أهمية الميتافيزيقا و عودتها إلى العلم لا تكمن في الناحية الفلسفية فقط كون الميتافيزيقا أصبحت تتعدى الفلسفة إلى العلوم المادية و المشتغل بالعلوم المادية يقف في العديد من المرات على تلك المواضيع التي تصل إلى طريق مسدود في نظر علماء المادة الأمر الذي يوقعهم في حيرة ما جعل الفيزياء بصبغتها الحالية تصل إلى منعرج خطير يكاد يعصف بمصداقيتها من بين هذه المواضيع مسألة عدم تحديد الكم و الزمان الفراغ و الكتلة ، هذه المسائل العالقة التي لم تعد تجد أجوبة لها في ظل المنهجية الحالية لهذا العلم - الفيزياء - جعلت بعض الفيزيائيين يلجئون إلى منهجية جديدة في النظر إلى بعض الظواهر و تأسيس تصورات جديدة تأخذ طابعا يميل إلى الميتافيزيقا عن الفيزيقا.

---

[1] كارل بوبر: منطق الكشف العلمي، المرجع السابق، ص 71.

[2] كانط إيمانويل : نقد العقل المحض، تر، موسى وهبة، مركز الانتماء القومي، ط(1)، 1786، ص 61.

خـــاتـمة

يتضح مما بيناه في بحثنا السابق أن اختيار فلاسفة الوضعية المنطقية للعلم ليكون مجالا لممارسة النشاط الفلسفي لم يكن خيارا موفقا فقد ظن هؤلاء أن إرجاع الفلسفة إلى ابستيمولوجيا للعلم سيخلصها من الخوض في الأمور الميتافيزيقية وسيسمح بعمل فلسفي جماعي موحد كما ظن كارناب و لا مجال فيه للتضارب في الآراء فالجميع سيلتزم بالأساس الصلب للمعرفة فتبني الفلسفة العلمية حجرا بعد حجر وبشكل تراكمي يؤدي إلى بنيان راسخ متراص من المفاهيم العلمية المتشكلة في قوالب منطقية فيتحقق بذلك مطلبي الدقة والموضوعية وتصبح الفلسفة علما واحدا موحدا لا مجال فيه لتضارب المذاهب المغلقة على ذاتها، لكن ما حدث في ميدان فلسفة العلة بعد الوضعية المنطقية لا بل أثناء سيادتها، قد أظهر أن مجال المعرفة العلمية ليس بالمجال الذي يسمح بالقول فلسفي متماسك يعطي كلمة الفصل فيما يخص مفاهيم العلم ومناهجه فقد اتضح أن العلم المفترض أنه مثال المعرفة الراسخة اليقينية هو أيضا ميدان رحب لاختلاف القراءات ووجهات النظر وقد تبين خطأ الافتراضات المسبقة التي أنطلق منها فلاسفة الوضعية وأن صورة العلم رسموها قبل أن يشرعوا بتحليل جملة مفاهيمه لم تكن هي نفسها الصورة التي اتضحت بعد ذلك فتهاوت ركائز هذه الصورة واحدة بعد الأخرى ليس لمشاهد كلمة الفصل في قبول أو عدم قبول المفاهيم العلمية ..

كذلك المنهج التجريبي ليس بذلك الطريق الآمن الذي يوصلنا إلى معرفة أكيدة فعلا عن مشكلة تحديد العوامل الملائمة التي بقيت معلقة أيضا مشكلة توسيع الاستقراء الذي هو أساس تطبيق هذا المنهج .

لقد لجأ كارناب لضمان موضوعية العلم للتعامل مع وصف للبنى الصورية للموضوعات دون الإحالة إلى الموضوعات بالذات واعتبر هذه البنى الصورية نقطة البداية لجملة سستام العلم الموحد ولضمان النقاوة المفاهمية لمثل هذا النظام أكد كارناب على ضرورة استخدام المنطق الرمزي كلغة أساسية للتعبير عن محتواه الذي يعتمد الاكتشافات المادية للعلوم. أما فائدته على المستوى الفلسفي فتتلخص في تمكيننا من توضيح المشكلات الفلسفية كمشكلة الفرق بين الألفاظ الفردية والعامة ومشكلة الماهية وغيرها كما تخلى كارناب عن اعتماد الظاهرية كأساس للعلم الموحد، وذلك بعد الانضمام إلى حلقة فيينا فطور أفكاره التي وردت في البناء المنطقي للعالم للتماشي مع طريقة تفكير حلقة فيننا والتي ترى أن الفيزيائية وليس الظاهرية هي الأساس المناسب لضمان وحدة العلم.

يأتي استبعاد الميتافيزيقا وهو مطلب أساسي للوضعية المنطقية ليؤكد على التوجه العلمي لفلسفة تلك المدرسة والذين يرفضون كل معرفة تجاوز التجربة وقد اهتم كارناب بصياغة هذا المطلب وتوضيحه معتبرا أن هذا الاستبعاد يكون استبعادا جذريا لأنه يستند إلى المنطق الرمزي الحديث أن مهمة التحليل المنطقي هذه هي ما يقصده كارناب بالفلسفة العلمية والتي من المفترض أن تحل محل الميتافيزيقا.

في وجه النقد الذي وجهه بوبر لمبدأ التصديق في إمكان تحقيق الميتافيزيقا وبيان عدم صلاحية مبدأ التصديق كمعيار للفصل بين العلم والميتافيزيقا معتبرا أن قابلية الدحض وليس قابلية التصديق هي المعيار

المناسب تخلي كارناب عن مبدأ التصديق مستبدلا إياه بمبدأ التأييد الأكثر تساهلا ولكنه فنَّد اعتراضات بوبر على أنه لا دليل للميتافيزيقا في فكرة إنشاء علم موحد.

اعتبر كارناب أنه لضمان عملية الفلسفة يجب أن يقتصر عملها على التحليل المنطقي لجمل العلم ومفاهيمه فبذلك فقط يمكن تجنب الخوض في المسائل الميتافيزيقية والتدخل في شؤون العلماء الذين تقع على عاتقهم مهمة الإجابة عن الأسئلة التجريبية المتعلقة بالطبيعة و ظاهرياتها.

قائمة المصادر و المراجع

المصادر:

1) كارناب ردولف:الأسس الفلسفية للفيزياء،تر:السيد نفادي،دار الثقافة الجديدة، القاهرة،ط(1)، 2001.

المراجع:

1) إبراهيم زكريا : مشكلة الفلسفة ، دار التوزيع و النشر ، القاهرة ، د(ط)، د(س) .

2) ابراهيم مصطفى ابراهيم: الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، دار الوفاء للطباعة و النشر ، الإسكندرية، د(ط)، 2000.

3) إسلام عزمي: جون لوك، دار المعارف، مصر، د(ط)، 1964.

4) إبن سينا: النجاة، ج2، تحقيق:عبد الرحمان عميرة، دار الجيل، بيروت، لبنان، د(ط)، د (س).

5) أبو ريان مُحَّد علي: تاريخ الفكر الفلسفي (الفلسفة اليونانية)، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1976.

6) اختيار ماهر : إشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوبر في النظرية و التطبيق، منشورات الهيئة العامة السورية، وزارة الثقافة، دمشق، د (ط)، 2010.

7) أرسطو: الطبيعة، ج2، تر إسحاق بن حنين، تح، عبد الرحمن بدوي، الدار القومية للطباعة و النشر، القاهرة، مصر، 1964.

8) أرسطو: المقالة السادسة الهاء، ضمن ابن رشد، تفسير مابعد الطبيعة، ج2.

9) إسلام عزمي : بحوث فلسفية، مراجعة و تقديم : عبد الغفار، مطبوعات جامعة الكويت، د(ط)، 1990.

10) إسلام عزمي: "لودفيج فجنشتين" نوابع الفكر الغربي، دار المعارف، القاهرة، د (ط)، د(س).

11) إسلام عزمي: اتجاهات في الفلسفة المعاصرة، وكالة المطبوعات، الكويت، ط(1)، 1980.

12) أفلاطون: الجمهورية، موفم للنشر، الأنيس سلسلة العلوم الإنسانية، 1990.

13) إمام عبد الفتاح إمام:الميتافيزيقا، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، 1986.

14) أمين أحمد: قصة الفلسفة الحديثة ، مطبعة التأليف و النشر، القاهرة، 1978.

15) بدوي عبد الرحمان : مدخل جديد إلى الفلسفة ، وكالة المطبوعات ، الكويت، ط(2)، 1979.

16) برتراند راسل: مقدمة للفلسفة الرياضية ، تر :مُحَّد مرسي أحمد ، مراجعة : أحمد فؤاد الأهواني ، مؤسسة سجل العرب، القاهرة ، 1980.

17) برول ليفي: فلسفة اوغست كونت، تر:محمود قاسم و السيد بدوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د(ط)، د(س).

18) بشير خليفي : الفلسفة و قضايا اللغة ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط(1)، 2010.

19) بلانشي روبير :المنطق و تاريخه من أرسطو إلى راسل، تر ، خليل أحمد خليل ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، 1980.

20) بهاء درويش : ألفرد جولس آير في الوضعية المنطقية ، منشأة المعارف ، د(ط) ، 2001.

21) بوبر كارل : منطق الكشف العلمي ، ج1 ، تر : ماهر عبد القادر ، دار النهضة العربية ، بيروت، د(ط)، 1986.

22) بوشنسكي ا.م:الفلسفة المعاصرة في أوربا،تر:عزت قرني،المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب،1992.

23) محمود زكي نجيب: حياة الفكر في العالم الجديد، دار الشروق،ط(1)، 1956.

24) علي عواضة حنان: مجلة كلية الآداب، العدد97.

25) بول موي: المنطق و فلسفة العلوم، تر: فؤاد زكريا، دار نهضة مصر، القاهرة، ط(1)، د(س).

26) توفيق الطويل : أسس الفلسفة ،دار النهضة العربية ،ط(4) ،1964.

27) الجابري مُحَمَّد عابد:مدخل إلى فلسفة العلوم (العقلانية المعاصرة و تطور الفكر العلمي)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط(1)، 1976.

28) الحاج حسن وداد : ردولف كارناب نهاية الوضعية المنطقية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،ط(1)، 2001.

29) حيول مُحَمَّد : اللغة بين منطق الفلسفة و منطق العلم ، دار النشر و التوزيع ، بيروت ، د(ط)، د(س).

30) راسل : أصول الرياضيات، الكتاب الأول، تر : مُحَمَّد مرسي أحمد، و أحمد الأهواني، دار المعارف، مصر، ط(1)، 1964.

31) راسل برتراند: حكمة الغرب الفلسفة الحديثة و المعاصرة، ج2، تر: فؤاد زكريا ، المجلس الوطني لثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت،1983.

32) رشيد الحاج صالح : النظرية المنطقية عند ردولف كارناب، دار الهيئة العامة، دمشق، د(ط)،2008 ، ص479.

33) زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، دار النشر للطباعة، د(ط)، د(س).

34) زكريا فؤاد:نظرية المعرفة و الموقف الطبيعي للإنسان،مكتبة مصر، د(ط) ، د(س).

35) زكي نجيب محمود : حياة الفكر في العالم الجديد ، دار الشروق ،ط(1) ،1956.

36) زيدان محمود : الاستقراء و المنهج العلمي، الإسكندرية، ط(4)، 1980.

37) زيدان محمود فهمي: في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،د(ط)، 1985.

38) سالم يفوت : فلسفة العلم المعاصر و مفهومها للواقع ، دار الطليعة ، بيروت ، ط(1)، 1986.

39) السيد مُحَمَّد : التمييز بين العلم و اللاعلم ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1996.

40) شالمرز آلان : نظريات العلم، تر :الحسين سحبان و فؤاد الصفا، دار توبقال للنشر، ط(1) ، 1991.

41) صلاح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة و النشر، لبنان، ط(1)، 1993.

42) صليبا جميل : المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د(ط)، 1979.

43) عبد القادر ماهر :نظرية المعرفة العلمية ، دار النهضة العربية ،بيروت ، د (ط)، د(س).

44) عبد الله مُحَّد توم : المنطق و اللغة و الواقع ، دار الأزمنة الحديثة ، ط(1) ، 1987 .

45) عبد المنعم راوية: جون لوك إمام الفلسفة التجريبية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د(ط)، 1996.

46) فجنشتين لودفيج: تحقيقات فلسفية،تر:عبد الرزاق بنور،مركز دراسات العربية،بيروت،لبنان ،ط(1)، 2007.

47) فجنشتين لودفيج: رسالة منطقية فلسفية، تر:عزمي إسلام، مكتبة الأنجلو المصرية، د(ط)، 1968،

48) الفضلي عبد الهادي: مذكرة المنطق ، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، إيران،د(ط)، د(س).

49) الفندي مُحَّد ثابت : أصول المنطق الرياضي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1976.

50) فؤاد زكريا : هربرت ماركيوز ، دار الفكر المعاصر ،القاهرة ،1978.

51) قاسم مُحَّد : نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية د(ط)، 1995.

52) كارل بوبر: منطق الكشف العلمي، تر :مُحَّد علي، دار النهضة العربية للطباعةو النشر، بيروت ، د(ط)، 1982.

53) كانط إيمانويل : نقد العقل المحض، تر، موسى وهبة، مركز الانتماء القومي، ط(1)، 1786.

54) كرم يوسف: الطبيعة و ما بعد الطبيعة، دار المعارف، مصر، 1966..

55) كولبة اوزفيلد: المدخل إلى الفلسفة، تر : أبو العلاء العفيفي، ط(3)، القاهرة 1995.

56) ماهر عبد القادر:فلسفة العلوم قراءة عربية سلسلة قضايا الفكر المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت،ط(1)، 1997.

57) مجهول فيصل غازي: تحليل اللغة في رسالة فجنشتين المنطقية الفلسفية، دارالعلمية، بيروت، لبنان، ط(1)، 2009.

58) مُحَّد السيد : التميز بين العلم و اللاعلم، منشأة المعارف، الإسكندرية، د(ط)، 1996.

59) مذبوح لخضر : كارل بوبر و مشكلة المعرفة الاستقرائية في مدخل جديد إلى فلسفة العلوم، منشورات جامعة منتوري، دار الهدى، عين مليلة، 2000.

60) موريس ريتشارد : حافة العلم عبور الحد من الفيزياء إلى الميتافيزيقا، تر : مصطفى ابراهيم فهمي، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1994.

61) مولا علي: أطلس الفلسفة ، تر: جورج كتورة، المكتبة الشرقية، د (ط)، د (س).

62) نفادي السيد :مبدأ التحقيق عند الوضعية المنطقية ، دار المعرفة الجامعية ، 1991.

63) نفادي السيد : معيار الصدق و المعنى مبدأ التحقيق عند الوضعية المنطقية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، د(ط)، 1991 .

64) هانز رايشنباخ : نشأة الفلسفة العلمية ، تر : فؤاد زكريا ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ، ط(1)، 1979.

65) هربرت ماركيز:العقل و الثورة،تر:فؤاد زكريا،المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، د(ط)، 1979.

66) هربرت ماركيوز : العقل و الثورة، تر :فؤاد زكريا، الهيئة المصرية للتأليف، مصر، د(ط) ،1970 .

67) هويدى يحي : فلسفة الوضعية المنطقية في ميزان ، مطبوعات السنة المحمدية ،د(ط)، د(س).

68) يحي مُحَمَّد: الوضعية المنطقية و قضايا المعرفة، دار النشر و التوزيع، بيروت، د(ط)، 2010

69) يعقوبي محمود: دروس في المنطق الصوري، المؤسسة الوطنية للدراسات و النشر ط(1)،2000.

70) يفوت سالم: العقلانية المعاصرة بين النقد و الحقيقة، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، ط2، 1989.

71) يمنى طريف الخولي: فلسفة القرن العشرين،المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، د(ط)، 2000.

الموسوعات و المعاجم:

1) لالاند:موسوعة لالاند الفلسفية، تر: أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، لبنان.

2) بدوي عبد الرحمان:موسوعة الفلسفة، ج2، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، ط(1)، 1984.

المجلات :

1) مُحَمَّد حسن مصطفى : مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، المجلد 4، العدد 2، 2002.

الرسائل:

1) قادري عبد الرحمان : التأسيس الذري المنطقي للحقيقة مساهمة فيجنشتين لودفيج ، رسالة ماجستير تحت إشراف عبد اللاوي مُحَمَّد، كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية قسم الفلسفة ، جامعة وهران ،2007-2008.

فهرست الموضوعات

فهرست الموضوعات

شكر و عرفان

إهداء

مقدمة .....أ،ب،ج

الفصل الأول: الوضعية المنطقية (المفهوم و التاريخ)

المبحث الأول: مفهوم الوضعية المنطقية و الميتافيزيقا.....07

المبحث الثاني: المرجعيات الفكرية للوضعية المنطقية.....17

المبحث الثالث:"أوغست كونت" وأسس فلسفته الوضعية 25

الفصل الثاني: الأسس المنطقية لوضعية ردولف كارناب

المبحث الأول:الفضاء الوضعي و انعكاساته على حلقة فيينا (فجنشتين، راسل) 30

المبحث الثاني: مبادئ الوضعية المنطقية.....35

المبحث الثالث: رودولف كارناب و استبعاده للميتافيزيقا.....48

الفصل الثالث: الوضعية المنطقية دراسة إبستيمية

المبحث الأول: آراء ماركيوز النقدية.....58

المبحث الثاني :كارل بوبر ...نقطة تحول 61

خاتمة 68

قائمة المصادر و المراجع 71

فهرست الموضوعات 76